مجموع آثار سماحة الشيخ

عبد الله بن محمد بن حميد

رحمه الله

١٣٢٩هـ - ١٤٠٢هـ

شرح كتاب تأسيس التقديس

المجلد السابع



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن توافرت مننه وجل ثناؤه وتقدست أسماؤه، عزَّ عن النظير، تفرد بالملك والتدبير، الخلق إليه مفتقر، وصلاةً وسلامًا على السراج المنير، ذي الخُلق القويم، ترك الأمة على محجةٍ بيضاء، ليلها ونهارها سواء، لا يزيغ عنها إلا هالك، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن كتاب تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس لمؤلفه العلامة: عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين المتوفى (١٢٨٢هـ)، كتابُ كشفٍ وإيضاحٍ لمسائل عقدية متعلقة بتوحيد الألوهية، برهن لها الشيخ بأدلة من الكتاب والسنة وكلام السلف، وقد علَّق عليه سماحة الشيخ العلامة: عبدالله ابن حميد المتوفى (١٤٠٢هـ) تعليقات لطيفة في مجالس متفرقة، بقيت -تلكم التعليقات- حبيسة أشرطةٍ سمعيةٍ؛ حتى حُل رِباطها تفريغًا وتدوينًا، فانتظمت دررًا وضَّاءة في عِقد مجموع آثار سماحته.

هذا، والعمل في الكتاب والتعليقات مر بمنهجية متسلسلة تبع أولها آخرُها، وهي على النحو الآتي:

١-مطابقة الكتاب المطبوع بالمقروء على سماحة الشيخ عبدالله ابن حميد رحمه الله.

٢-تفريغ التعليقات من المادة السمعية؛ فإن استعصى شيء منها مع بذل الوسع نشير إليه بمعكوفتين يتوسطهما نقاط [...].

٣-التصرف في التعليقات تقديمًا وتأخيرًا وحذفًا وإعادة صياغة إن لزم.

٤-إلحاق التعليق بمتن الكتاب وفق المجالس التي عقدها سماحة الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله.

٥-الجزء الذي قرئ من الكتاب على الشيخ، ولم نقف على تعليق له؛ نذكر عقب إيراد ذلك المتن أنا: (لم نعثر على تعليق سماحته).

٦-إذا وقفنا على تعليق استغلق تفريغه؛ لعدم وضوحه أشرنا إليه بعد المتن بقول: (تعليق الشيخ رحمه الله غير واضح).

٧-إن وقفنا على جزء من التعليق ولم نقف على باقيه بينا ذلك بقول: (لم يتم الوقوف على بقية التعليق).

٨-عزو النقولات إلى مصادرها ومراجعها مسبوقًا بكلمة: (ينظر).

٩-عزو الأحاديث لمظانها؛ فإن كان في الصحيحين أكتفي بهما أو بأحدهما، وإن كان في غيرهما أكتفي بالعزو لمصدرين في الأغلب، مع ذكر الراوي الأعلى.

١٠-الأحاديث الواردة بالمعنى نرجعها لأصلها في مظان متون الحديث.

١١- الحديث الذي له عزو مسبق، ولم نقف عليه في المصدر المذكور عزوناه لمظانه.

١٢- العزو إن كان متعلقًا بالمتن فيوضع بين قوسين مضافًا إليه حرف الميم إشارة إلى المتن (م)، وإن كان متعلقًا بالتعليقات فيوضع بين قوسين مضافًا إليه حرف التاء إشارة إلى التعليق (ت).

١٣- ذُيِّل الكتاب بفهارس للمصادر والمراجع والموضوعات.

والله نسأل أن يجعله عملًا مباركًا وينفع به الإسلام والمسلمين، إنه سميع مجيب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فإنه قد قدم علينا في أثناء عَشر ستين بعد المائتين والألف رجل اسمه داود بن سليمان البغدادي ومعه شيء من كتب المذهب، وجلس عندنا مدة، وطلب مني إجازة في الفتيا في المذهب وكتبت له، ثم بعد ذلك بنحو أربعين سنة قدم حاجًّا، وذُكر لي أن معه ورقة فيها عبارات من كلام الشيخ تقي الدين يشبِّه بها على الناس، يضع كلام الشيخ على غير موضعه فأحضرته وباحثته؛ فإذا حقيقة أمر دعواه: استحالة وقوع الشرك في الأمة المحمدية، ويزعم أن دعاء الأموات والغائبين والذبح والنذر لغير الله ليس بشرك، ويقول: إن الطلب من الأموات والغائبين لا يسمى دعاء بل نداء، ويقول: الشرك هو السجود لغير الله فقط، وسألته عن معنى لا إله إلا الله، وما معنى الإله؟ فارتبك وتحير، فقلت: أخبرني عن حقيقة الشرك الذي حرمه الله وأخبر أنه لا يغفره؟ فقال: هو السجود لغير الله.

فقلت: نهى الله عن السجود لغيره؛ لكن ما دليلك على أنه شرك؟ فلم

يكن عنده جواب، فلما أوردت بعض الأدلة على بطلان دعواه ودحضت حجته؛ أظهر الموافقة قصدًا لقطع الكلام لا للموافقة باطنًا فيما أظن، وكتبت على ورقته التي معه نحو ثلاثين ورقة سمَّاها بعض الطلبة «الانتصار».

وبعد ذلك طلب مني بعض الإخوان بيان معنى بعض أبيات في البردة وتشطيرها للرجل المذكور، فكتبت عليها قدر ورقتين فاشمأز بعض المخالفين لزيغ في قلبه، واعترض على ما كتبته بكتابة ورقة متضمنة شركًا عظيمًا، فكتبت على كلامه قدر ثلاثة كراريس، وهم قد رفعوا جوابي الأول والثاني إلى كبيرهم داود المذكور، مستنصرين به، فقام وقعد، وجد واجتهد في البحث عن الأوراق التي اعترض فيها أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمة الله عليه - فيما دعا إليه من التوحيد، فحصَّل فيما بلغني جملة منها فاستمد منها وزاد من عنده فضائح ووضعها في تسويده هذا الذي عثرنا عليه، فيه ترويج على الجهال.

فرأيت أنه يتعين على مثلي بيان تلبيسه وتمويهه؛ لعل الله أن يحشرنا في زمرة الذين ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

ذكر المعترض في أول تسويده بأنَّا نُكفر من كانت البردة عنده ومن قرأها ومن سمعها، وأننا نُبيح قتله، وهذا من أول كذبه وافترائه.

وزعم أن ما كتبناه متضمن لتنقص الرسول ﷺ، وسلفه في ذلك عباد المسيح؛ لما نهى النبي ﷺ عن عبادته قالوا تنقص المسيح عليه السلام، ونحن إنما

نهينا عن الغلو فيه ﷺ الذي حذر منه بقوله: «**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ**»(م١).

وقوله: «**مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ**»(م٢).

وقوله: «**لا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ**»(م٣).

وقوله للذي قال ما شاء الله وشئت: «**أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا**»(م٤).

وأما ما ذكره هذا من مدحه نفسه وتزكيتها بدعوى العلم، وذمه المخالف وتجهيله؛ فالعاقل ما يغتر بذلك، بل يقوم لله وينظر لنفسه، ويتأمل ما يورده من الحجج ولا يقلد؛ فإن التقليد لا يجوز في هذا الأصل العظيم.

قال: وقد روى هذه القصيدة مع الهمزية جماعة من العلماء وشرحها بعضهم ولم يفهموا منها محذورًا.

فنقول كما قال الأئمة الأعلام: كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، وأيضا لا يلزم أن كل من روى كتابًا أو قصيدة أن يكون مستصوبًا لكل ما روى.

وذكر ممن روى البردة أبو حيان، والبيضاوي، والمحلي، وابن حجر العسقلاني، وكذا القسطلاني.

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٣٤٤٥)، من حديث عمر رضي الله عنه.

(م٢) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ١٢٥٥١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(م٣) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ٢٠٦٩٤)، والدارمي في سننه، واللفظ له، (ح: ٢٧٤١).

(م٤) أخرجه الطبراني في الكبير، (ح: ١٣٠٠٥)، من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

فيقال له: تفسير الثلاثة للقرآن موجود، وكذا شرح البخاري، هل تجد في شيء منها ما يمكن تشبيهك به على الناس بما يوافق دعواكم الباطلة؛ من أن علم اللوح والقلم من علوم النبي ﷺ وأنه لا يخفى عليه شيء من أدواء القلوب كما في بيت الهمزية من قوله: وليس يخفى عليك في القلب داء، وأن الدنيا والآخرة من جوده ﷺ وأنه يطلب منه اليوم الإنقاذ من عذاب الله والألم، وأن ما جاز طلبه منه في حياته جاز طلبه منه بعد موته، وأن الله - سبحانه - أمر عباده المؤمنين بطلب حاجاتهم من الأموات والغائبين وغير ذلك من دعاويكم الباطلة؟ ولن تجد في كتب المذكورين وغيرهم من العلماء المحققين إلا ما يبطل حجتك، بل يوجد في كلام كثير ممن ليس من أهل العلم المعروفين به شيء كثير؛ تصديقًا لقول النبي ﷺ: **«لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»**[م١].

قال المعترض: وعصر الناظم متقدم على عصر ابن تيمية ولم ينقل عن ابن تيمية الإنكار عليه.

قلنا: إن كان نظمه هذا قد بلغ الشيخ فهو ممن عنى بقوله: «والاستغاثة به ﷺ بعد موته موجودة في كلام بعض الناس، مثل: يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان وأمثالهما. قال: وهؤلاء لهم صلاح لكن ليسوا من أهل العلم، بل جروا

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، (ح: ٧٣٢٠)، ومسلم في صحيحه، (ح: ٢٦٦٩)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

على عادةٍ كمن يستغيث بشيخه عند الشدائد ويدعوه»، وقد يكون البوصيري وغيره ممن أراد بقوله وأمثالهما.

وقد صنف شيخ الإسلام رحمه الله كتابًا في الرد على من جوّز الإستغاثة بالنبي ﷺ وقرر أن ذلك من الشرك، قال رحمه الله: «وقد طاف هذا بجوابه - يعني الذي أجاز فيه الاستغاثة به ﷺ على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فما وافقوه، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبته فما خالفوه، مع أن قوما كان لهم غرض وفيهم جهل بالشرع قاموا في ذلك قيامًا عظيمًا، واستعانوا بمن له غرض من ذوي السلطان مع فرط عصبيتهم، وكثرة جمعهم، وقوة سلطانهم، ومكايدة شيطانهم». انتهى(م١).

فهؤلاء علماء مصر في ذلك الزمان لم يخالفوا ما كتبه الشيخ فعدم مخالفتهم دليل الموافقة، لا سيما وحال أكثر أهل ذلك الزمان مع الشيخ ومخالفتهم له في أشياء غير ذلك معلومة، فلو رأوا لمخالفته في هذه المسألة مساغًا لبادروا وأظهروا ذلك.

قال البغدادي معترضًا على ما كتبناه على قول الناظم: فإن من جودك الدنيا وضرتها. قال: ومن قال لك إن الدنيا والآخرة لغير الله، أفلا يجوز أن الله يعطي الدنيا لأحد وهو يجود بها أو منها، أو ليس كل الوجود لله وقد ملكه لعباده، فما هذا الاعتراض الفاسد؟!

(م١) نقله باختصار من كتاب: (الرد على البكري) تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيمية، (٢/ ٤٨٦-٤٨٧).

قال: وقد ورد أن الدنيا والآخرة خلقتا لأجله، وورد في البخاري أنه أكرم من الريح المرسلة، فماذا يضر لو كُرِّمَ بما لربه، وهو حبيبه الأعظم؟ انتهى.

فنقول: هل يشك أحد في جوده ﷺ؟ فهو أجود الناس، وأجود من الريح المرسلة - صلوات الله وسلامه عليه -، والمعترض حرّف قول الصحابي وهو ابن عباس في قوله رضي الله عنه: **«فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»**(م١).

فحرفه المعترض، وقال: إنه أكرم من الريح المرسلة. وقوله: **أفلا يجوز أن الله يعطي الدنيا لأحد وهو يجود بها أو منها؟**

يعني أنه يجوز أن الله يعطي الدنيا كلها لإنسان، وذلك الإنسان يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، وهذا لا يليق به - سبحانه - أن يجعل رزق العباد عند غيره، بحيث يصير ذلك الغير هو مقصودهم الذي يرغبون إليه، ويسألونه قضاء حوائجهم، ومقتضى قول الناظم: فإن من جودك الدنيا وضرتها؛ أنه ﷺ هو الذي جاد بهما؛ لأن الله أعطاه ذلك ليجود به على عباده، بل مقتضى كلامه وإن لم يرده أن النبي ﷺ هو الذي جاد على أهل الدنيا بإعطائهم ما يحبون ويجود على أهل الجنة بها.

وقوله: أوليس كل الوجود له وقد ملكه لعباده.

(م١) أخرجه البخاري، (ح: ٣٢٢٠)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه: (ح: ٢٣٠٨).

فهذا كلام باطل؛ لأن الوجود يتناول كل موجود؛ من ذلك: الجنة والنار، والسماء والأرض، والعرش والكرسي، والحجب، وغير ذلك من العالم العلوي والسفلي مما لا يعلمه إلا الله، ولم يملكه لأحد من عباده، بل لم يملك عباده من الوجود إلا النزر القليل.

قوله: وقد ورد أن الدنيا والآخرة خلقتا لأجله ﷺ(م١).

فهذا حديث لا يصح، والله - سبحانه - قد أعلمنا بالحكمة في خلق هذه المخلوقات كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]. وقال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٩٧]. فأخبر الله - سبحانه - بالحكمة في خلق هذه الأشياء، وأنه إنما خلقها للحِكَمِ التي ذكرها لا لأجل أحد من عباده، مع أن هذا الحديث لو صح لم يكن فيه حجة ولا

(م١) إشارة لحديث: «**لولاك مَا خلقت الْجنَّة ولولاك مَا خلقت الدُّنْيَا**»، الذي أخرجه الحاكم في مستدركه، (ح: ٤٢٥٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

شبهة يستأنس بها لما ادعاه، مع أنه ﷺ أكرم الخلق على ربه وأقربهم إليه وسيلة - صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين -؛ لكنه نهى عن الغلو فيه، فقال: «**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(م١).

وقول المعترض: فماذا يضره لو كُرِّم بما لربه.

مقتضى هذه العبارة أنه يتصرف في خزائن الرب -سبحانه-؛ لأن التصرف والتكرم بما في يده ليس مختصا به ﷺ؛ لأن كل أحد يتصرف فيما أعطاه الله وملكه، والنبي ﷺ إنما يتصرف فيما في يده يضعه حيث أمره ربه.

قال ﷺ: «**مَا أُعْطِيكُمْ وَلا أَمْنَعُكُمْ إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ**»(م٢).

وقال: في حكم الزكاة: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يَرْضَ فِيهَا بِحُكْمِ نَبِيٍّ وَلا غَيْرِهِ، حَتَّى حَكَمَ هُوَ فِيهَا فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءٍ**»(١)(م٣).

---

(١) هذا هو [...] البغدادي يقول على أبيات البردة: يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم، فرد عليه البابطين. =

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٣٤٤٥)، من حديث عمر رضي الله عنه.
(م٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٣١١٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(م٣) أخرجه أبوداود في سننه، (ح: ١٦٣٠)، وابن زنجويه في الأموال، واللفظ له، (ح: ٢٠٤١)، من حديث زياد بن الحارث الصدائي رضي الله عنه.

= وابن جرجيس رد عليه أيضًا بأن قال: كيف تنكر علي قول البردة بأنه [...] يا أكرم الخلق، والرسول هو أكرم الناس، وجاء أنه أكرم من الريح المرسلة، وما يضر أن الله ملَّكه الدنيا، وأنه يتصرف فيما لربه. فيقول المصنف هنا أولًا: حرفت الحديث؛ فإن الحديث ليس فيه أن الرسول ﷺ أكرم من الريح المرسلة؛ وإنما هو أجود، هذا الذي نص عليه، ففرق بين أجود وبين أكرم؛ ولكن هذا شأن أهل البدع يحرفون الكلم عن مواضعه، ويغيرونه على حسب شهواتهم.

ثانيا: قوله: «إن السماوات والأرض خلقت لأجله»، فهو يقول له: لا، هذا باطل، ما خلقت السماوات والخليقة لأجل محمد ﷺ أبدًا، ولا يصح في هذا شيء؛ إنما خلقت لعبادة الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [المُلك:٢]. ما قال لأجل محمد ﷺ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢].

ولم يقل الله: الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن من أجل محمد ﷺ؛ وإنما خلقها لهذه الحِكم التي أشار إليها الرب في القرآن فبطل قوله.

ثالثا: أما قوله: «وما يمنع من أن الله يعطي شخصًا الدنيا كلها، ثم هذا المعطى يتصرف حيث شاء؛ فإن الله أعطى محمدًا الدنيا فهو يتصرف».

فيقول المصنف: لا، هذا باطل، حاشا أن الرب يعطي العباد رزقهم ويحصرها على شخص؛ بحيث ينتمون إلى هذا الشخص ويطلبون منه؛ بل الله ﷻ هو الذي يتولى أرزاق عباده: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦].

والرسول ﷺ معترف بهذا فقال: «**إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ**»(تـ١)، هو لا يمنع ولا يعطي إلا حيث أمره الله، وهو قاسم من جهة الله، لا يضع إلا حيث أمره الله، وبعيد أن الله يجعل الدنيا عند شخص، ثم يجعل العباد كلهم ينتمون إلى هذا الشخص، ويطلبون هذا. =

(تـ١) سبق تخريجه.

وقول الناظم: إن من جودك الدنيا وضرتها؛ أي: من عطائك وإنعامك وإفضالك الدنيا والآخرة، وهذا كلام لا يحتمل تأويله بغير ذلك، ووازن بين قول الناظم: من جودك الدنيا وضرتها وبين قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن:٢١]. وقوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

قال ابن كثير: «﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: خزائن رزقه فأعطيكم ما تريدون. ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ فأخبركم بما غاب مما مضى وما سيكون. ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾؛ لأن الملك يقدر على ما لا يقدر عليه الآدمي ويشاهد ما لا يشاهده الآدمي»(م١).

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

= قوله: «وما يضر أن أكرم الخلق عليه يتصرف فيما لربه».
وهذا غلط؛ كيف يتصرف فيما لربه؟ ما للرب: الجنة والنار والعالم كله، فهل الرسول ﷺ يتصرف في هذا كله؟ بل ما هو أبسط من هذا كالزكاة؛ فإن الرسول ﷺ يقول: تولى قسمتها الله- تعالى -، ولم يكل قسمتها لا إلى ملك مقرب ولا إلى نبي مرسل؛ بل قال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]. إلى غير ذلك؛ هذا هو معنى قوله.

(م١) الصواب: أنه من كلام البغوي في تفسيره. يُنظر: معالم التنزيل: (٣/ ١٤٥).

قال ابن كثير: "أمر الله نبيه أن يخبر بتفويض الأمور إليه، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل إلا ما أطلعه الله عليه كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]. فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه.

قال: والأحسن في قوله: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [الأعراف:١٨٨]. ما رواه الضحاك عن ابن عباس: «لاستكثرت من الخير»؛ أي: من المال، وفي رواية: لعلمت إذا اشتريت رخيصا ما أربح فيه، فلا أبيع شيئا إلا ربحت فيه، ولا يصيبني الفقر».

وقال ابن جرير - رحمه الله تعالى -: وقال آخرون معنى ذلك: ولو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدبة من السنة المخصبة، ولوقت الغلاء من الرخص.

وقال ابن زيد رحمه الله: «﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ لاجتنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون واتقيته»(م١).

وقال تعالى: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

قال المعترض على ما كتبناه على قول الناظم: ومن علومك علم اللوح والقلم. فقال: قد قال الشرَّاح: المراد باللوح ما يكتب فيه الناس، وبالقلم ما

(م١) يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٣/ ٤٧٣-٤٧٤).

يكتبون به. قال: ويحتمل أن يكون المراد باللوح اللوح المحفوظ، ولا يلزم على هذا الاعتراض الذي قاله هذا الرجل؛ لأن مراده علم اللوح غير الفواتح الخمس. قال على أن قوله علم اللوح، الإضافة فيه جنسية؛ أي بعض علم ما في اللوح، والجنس يصدق على بعض الأفراد - إلى أن قال -: بل ولو لم نقل هذا لم يلزم هذا الاعتراض؛ لأن فواتح الغيب الخمس لا يلزم أنها في اللوح المحفوظ، بل هي في أم الكتاب وهي غير اللوح -إلى أن قال-: فتبين من هذا أن أم الكتاب غير اللوح المحفوظ، بل هي أصل اللوح. انتهى.

قوله: إن الشراح قالوا: المراد باللوح ما يكتب فيه الناس وبالقلم ما يكتبون به.

فيقال: هذا بعيد من مراد الناظم ومن مقتضى لفظه؛ لأن (أل) في اللوح والقلم للعهد الذهني، لا يقع في ذهن السامع غير اللوح المحفوظ والقلم الذي جرى بالمقادير وكونه بعيدًا من مراد الناظم في هذه الحال؛ لأنه بالغ في مدح النبي ﷺ وإطرائه، فلما وصفه بكون الدنيا والآخرة من جوده فتعدى في وصفه بالجود ناسب أن يصفه بسعة العلم، ولو أراد أقلام الناس لم يخص الألواح، بل يأتي بلفظ يعم ما يكتبون فيه من لوح وقرطاس وغيره.

وأيضا فالناس يكتبون بأقلامهم الحق والباطل، ويكتبون الكفر والسحر والشعر وجميع العلوم الباطلة مما ينزه الرسول ﷺ عن إضافته إليه، ويكتبون بعد موته ﷺ الرسائل والمداينات وغير ذلك مما يقع في غد؛ وذلك من الخمس

التي لا يعلمها إلا الله، وقد قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ - أي النبي ﷺ - يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[م١].

وقوله: ويحتمل أن المراد اللوح المحفوظ، ولا يلزم على هذا اعتراض المعترض؛ لأن المراد علم اللوح غير الفواتح الخمس. إلى قوله: وهذه الفواتح لا يلزم أنها في اللوح المحفوظ، بل هي في أم الكتاب، وهي غير اللوح. إلى قوله: فتبين بهذا أن أم الكتاب غير اللوح، بل هي أصل اللوح.

لم يذكر ما يبين ذلك؛ وإنما هو مجرد دعوى كاذبة. وذكر ما ذكره البغوي عن عكرمة عن ابن عباس، قال: هما كتابان سوى أم الكتاب. وهذا حجة عليه؛ لأنه ذكر كتابين غير أم الكتاب، بل كلامه يدل على أن اللوح الذي ذكر صفته هو أم الكتاب؛ لأنه لما ذكره قرأ: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]. فالظاهر أن هذا إشارة إلى أن هذا اللوح الذي وصفه هو أم الكتاب، لم يقل إن اللوح المحفوظ غير أم الكتاب. وما ذكره عن عطاء عن ابن عباس لم يقل فيه إن اللوح المحفوظ غير أم الكتاب. والمعترض يرى أن البغوي قد جزم عند قوله سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بأن أم الكتاب هي اللوح المحفوظ. وقال البغوي أيضا في قوله سبحانه: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١ ، ٢٢] قال: هو الذي يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب، ومنه تنسخ الكتب، محفوظ من الشياطين،

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٤٨٥٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

ومن الزيادة فيه والنقصان. وقال أيضا في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في اللوح المحفوظ.

قال قتادة -رحمه الله تعالى-: أم الكتاب أصل الكتاب، وأم كل شيء أصله.

قوله: ﴿لَدَيۡنَا﴾ أي القرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ(1).

وقال البغوي أيضا في قوله سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس:١٢]: هو اللوح المحفوظ(م1).

وقال الواحدي: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الزخرف:٤]: أي في اللوح المحفوظ(م2).

(1) يقول أبابطين: هذا تأويل ابن جرجيس على أبيات البوصيري (ومن علومك علم اللوح والقلم). يقول: المراد بعلم اللوح: هي ألواح الناس وأقلام الناس، ليس المراد هو اللوح المحفوظ ولا القلم الذي كتب به ماجرت به المقادير. وأن هذا مراد البوصيري.
أبا بطين رد عليه فقال: لا؛ أولا: هذا غير مراد قولك: أنها ألواح الناس وأقلام الناس؛ لأنه قال بعد هذا: (ومن علومك علم اللوح والقلم)، فهو يتكلم عن العلم، وأما ألواح الناس فيها الحق وفيها الباطل، وفيها المداينات، وفيها السحر، وفيها الشعوذة وفيها كل شيء، فالرسول ﷺ منزه عن هذه العلوم السيئة الفاسدة.

(م1) يُنظر: معالم التنزيل للبغوي: (٨/ ٣١٦).
(م2) يُنظر: التفسير البسيط للواحدي: (٢٠/ ٨).

قال الزجاج: أم الكتاب أصل الكتاب، وأصل كل شيء أمه. قال: والقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢][م١].

وقال الواحدي على قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ عند الله وهو أم الكتاب، منه نسخ القرآن والكتب، وهو الذي يعرف باللوح المحفوظ من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان[م٢].

وقال ابن كثير رحمه الله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي اللوح المحفوظ؛ قاله ابن عباس ومجاهد ﴿لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[م٣].

وقال في قوله - سبحانه -: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي: وجميع الكائنات مكتوب مسطور في لوح محفوظ. والإمام المبين هنا: هو أم الكتاب، قاله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. انتهى[م٤].

وقال البيضاوي: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ؛ إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه[م٥]. وقال في قوله - سبحانه -:

(م١) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (٤/ ٤٠٥).
(م٢) يُنظر: التفسير البسيط للواحدي: (٢٠/ ٨).
(م٣) يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٧/ ٢٠٠).
(م٤) يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٦/ ٤٠٥).
(م٥) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: (٢/ ١٩٠).

﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في اللوح المحفوظ، فإنه أصل لكل الكتب السماوية ﴿لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(م١).

وقال النسفي: أم الكتاب أصل كل كتاب، وهو اللوح المحفوظ؛ لأن كل كائن مكتوب فيه. انتهى(م٢).

والمراد بذكرنا كلام المفسرين - رحمهم الله تعالى - وبيان إجماعهم على أن اللوح المحفوظ هو أم الكتاب وهو نص حديث عمران بن حصين الآتي قال: «**وَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ ذِكْرَ كُلِّ شَيْءٍ**»(م٣).

تبين كذب هذا وجراءته في جزمه بأن أم الكتاب غير اللوح المحفوظ مع أن هذا لا ينفعه لو سلم له؛ لأن الكل جرى به القلم فيدخل في قول الناظم: ومن علومك علم اللوح والقلم.

وقوله: إن الإضافة في قوله علم اللوح والقلم جنسية، أي: بعض علم ما في اللوح والجنس يصدق على بعض أفراده.

فيقال: علم بعض ما في اللوح لا يختص به ﷺ، بل يشاركه في ذلك غيره من الأنبياء وغيرهم من آحاد الناس من كل من علم شيئا مما جرى به القلم، مع

(م١) يُنظر: المصدر السابق: (٥/ ٨٦).

(م٢) يُنظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي: (٢/ ١٥٨).

(م٣) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ١٩٨٧٦).

أنه لا يصح حمل كلام الناظم على ذلك ولا يحتمله؛ لأنه قال ومن علومك علم اللوح والقلم.

«فمن» في كلام الناظم للتبعيض، فمقتضى اللفظ أن علم اللوح والقلم بعض علومك، وزعم بعض المنازعين أن «من» في قول الناظم من جودك ومن علومك إلخ؛ أنها لبيان الجنس، وبينا غلطه في جوابنا السابق، ولو سلم أنها لبيان الجنس مع أنها لا تصلح لذلك فالمعنى على ذلك أن علومك هي عين علم اللوح والقلم لا تقصر عنها؛ لأن هذا هو معنى «مِنْ» البيانية.

وكلام الناظم خطأ على كلا التقديرين، ومما يبين أن مراد الناظم إحاطة النبي ﷺ بعلم الغيب قوله في الهمزية في حق النبي ﷺ: وليس يخفى عليك في القلب داء. فوصفه ﷺ بالعلم بجميع أدواء القلوب وعللها؛ لأن قوله داء نكرة في سياق النفي؛ فتعم جميع ما احتوت عليه القلوب، وهذا مما اختص به الرب -سبحانه- قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧]. وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. وقال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤]. والآيات في هذا كثيرة معلومة، وقد قال ﷻ في آخر ما نزل من القرآن: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة:١٠١].

وقال: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ

بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ»(م١).

قال القاضي عياض في الشفا على هذا الحديث: وتُجرى أحكامه عليه السلام على الظاهر، ولو شاء الله لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته -إلى أن قال-: وكل ذلك من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فيعلمه منه ما شاء ويستأثر بما شاء، ولا يقدح هذا في نبوته، ولا يفصم عروة من عصمته، وخفي عليه ﷺ حال أهل الإفك حتى جاءه الخبر من الله، ويخفى عليه ﷺ أمور كثيرة يطول عدها، حتى يأتيه الوحي بخبرها(م٢).

وقال ﷺ: «**إِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»(م٣).

ثم قال المعترض: وهو -أي الناظم- أثبت للنبي ﷺ علم اللوح والقلم، ومراده بتعليم الله له.

ثم قال بعد ذلك: ما المانع أن يكون من علوم النبي ﷺ علم اللوح والقلم؟

فالعجب من تناقض هذا المبطل! ادعى أولا: أن المراد باللوح والقلم: ألواح الناس وأقلامهم، ثم ادعى أن الإضافة جنسية، ثم اعترف بأن الناظم أثبت ﷺ

(م١) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ١٧١٣)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(م٢) يُنظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض: (٢/ ٤٢١-٤٢٢).

(م٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٦٥٢٦)، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

علم اللوح والقلم، ثم قال: فما المانع أن يكون من علوم النبي ﷺ علم اللوح والقلم.

قال: وهذا الذي قررناه بناء على أن الله - تعالى - يطلع نبينا وغيره على الخمس.

قال: فهناك نقول من أطلعنا على كلامه.

وذكر أشياء ليس فيها ما يستأنس له به فضلا عن أن يكون حجة، وإنما أكثر من النقول للتمويه والترويج على الجهال، ومنها ما هو حجة عليه كنقله عن شرح المشكاة لعلي القاري على قوله ﷺ: «**مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ**»(م١).

أي: لا يعلم تفصيله إلا هو، ولا يعلم مجمله بحسب خرق العادة إلا من قبله(م٢).

وقال في شرح قوله: (**في خمس لا يعلمهن إلا الله**) فإن قلت قد أخبر الأنبياء بكثير من ذلك فكيف الحصر؟ قلت: الحصر باعتبار كلياتها دون جزئياتها، قال تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]. انتهى(م٣).

وهذا حجة عليه؛ لأننا لا ننكر أن الله يطلع الأنبياء على أشياء من الغيب

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٤٦٩٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(م٢) **يُنظر**: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي ملا القاري: (٣/ ١١١٦).

(م٣) **يُنظر**: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي ملا القاري: (١/ ٦٦).

معجزة لهم، ويكشف لبعض أتباعهم شيئا من ذلك كرامة لهم، وإنما ننكر القول بأن محمدا ﷺ يعلم جميع ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ. ومن ذلك مفاتح الغيب الخمس، وأنه ﷺ يعلم جميع ما احتوت عليه القلوب بقوله: وليس يخفى عليك في القلب داء(1).

واستدل المعترض بقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]. وبقوله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩](2).

وليس في ذلك حجة له، بل هي حجة عليه، ومعنى الآيتين عند جميع المفسرين: أن الله - سبحانه - يطلع رسله على ما يشاء من الغيب آية لهم ومعجزة، ولنبينا ﷺ من ذلك ما لا يحصى، ولا يشك فيه مسلم(3).

---

(١) لم أعثر على تعليق سماحته.

(٢) هذا من أدلة داود، يقول: إن الرسول ﷺ يعلم الغيب، ويطلع على المغيبات؛ بدليل قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦- ٢٧].

فهذا الاستثناء يثبت بأن عنده علم من الغيب. وبقوله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. يعني يطلعهم، فيكون على هذا أن الرسول ﷺ يعلم الغيب، ومن علمه الغيب: أن الدنيا بيده والآخرة أيضًا بيده يوم القيامة، وأنه يعلم من يدخل الجنة ومن يدخل النار، وأنه يُسأل وأنه يُطلب من دون الله.

(٣) أجاب المصنف هنا عن قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦- ٢٧]. =

واحتج المعترض بما نقله عن المدابغي فقال: قال العلامة المدابغي في حاشيته على شرح الأربعين لابن حجر: «والحق كما قال جمع: إن الله لم يقبض نبينا ﷺ حتى أطلعه على كل ما أبهمه عنه إلا أنه أمر بكتم بعض وإعلام بعض». انتهى(م١).

= قال: مَا لَكَ في هذا دلالة. نعم يطلع الله -تعالى- نبيه ﷺ، بل أنبياءه؛ ولذا لنبينا الحظ الأوفر، يطلعهم على الغيب، من الأمور التي يخبرون بها مما ستقع في المستقبل؛ دلالة على نبوتهم؛ مثل إخباره ﷺ في آخر الزمان بأن الشجر يقول: يا مسلم تحتي يهودي تعال فاقتله إلا شجر الغرقد(ت١).

ومثل إخباره ﷺ بأن آخر هذه الأمة يلعن أولها(ت٢)، ومثل إخباره أيضا بشيء من المغيبات التي وقعت في زمانه ﷺ من انتصار المسلمين وظهور الدعوة وما أشبه ذلك، لا أنه يطلع على الغيب - غيب الآخرة - وغيب كل ما يقع، إنما في الشيء الذي يطلعه الله - تعالى - عليه كدلالة وعلامة على نبوته مما قد وقع وأخبر به ﷺ.

(م١) **يُنظر**: حاشية حسن بن علي المدابغي على الفتح المبين بشرح الأربعين لابن حجر الهيتمي: (ص١٧٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(ت١) يشير إلى ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ». أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٢٩٢٢).

(ت٢) يشير إلى ما رواه أبو أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ لِهَذَا الدِّينِ إِقْبَالاً وَإِدْبَارًا.....وَيَلْعَنُ آخِرُ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا». أخرجه الطبراني في الكبير، (ح: ٧٨٠٧).

قلت: قد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- عن بعض ضلال أهل زمانه أنه ادعى ذلك للنبي ﷺ وهذه دعوى عظيمة تعارض نصوص القرآن والسنة الصحيحة الصريحة، وتخالف ما عليه الصحابة والتابعون والعلماء بعدهم، يحتاج مدعيها إلى دليل واضح ولن يجد إلى ذلك سبيلا، ولا شبهة معه، وإنما هي مجرد دعوى كاذبة جمع مدعيها بين رد نصوص الكتاب والسنة وإجماع العلماء وبين افتراء الكذب على الله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٤٤](١).

---

(١) يقول المعترض: إن المدابغي ذكر في حاشيته على الفتح المبين بشرح الأربعين لابن حجر: أن الله لم يقبض الرسول ﷺ إلا بعد أن أطلعه على جميع المغيبات كلها، فأباح له بأن يبدي بعض الشيء وبعض الشيء يكتمه، وإلا جميع المغيبات كلها اطلع عليها الرسول ﷺ.

فالمصنف هنا يقول: كذبت يا أخي، من أين لك هذا؟ فإن الصحابة والتابعين لم يعرفوا شيئا من هذا، ولم يقولوا أن الله أطلع نبيه على جميع المغيبات كلها، بل هذا مخالف لنصوص القرآن: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ...﴾ [النمل:٦٥]. هذا نص قاطع بأن المغيبات لا يعلمها إلا الله، وأمَّا الشيء الذي أطلعه النبي ﷺ عليه تأييدًا لنبوته ودلالة على معجزاته هذا نعم.

وقوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ...﴾ [الأعراف:١٨٨]. فكيف تقول إن الله لم يقبض الرسول ﷺ إلا بعد أن أطلعه على جميع المغيبات، أبدى منها ما أبدى وكتم ما كتم، فهذا مخالف لما عليه الصحابة والتابعون ومخالف للقرآن كما في الآيات التي أشرنا إليها، وأيضا ينطبق عليك قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٤٤]. يعني: أنك ظلمت نفسك بأن أضللت الناس وادّعيت للرسول ﷺ ما لم يكن له، وهذه دعوى بلا علم.

قال المموه: وقد أشار النبي ﷺ إلى مصارع القتلى يوم بدر، وكل منهم صرع في ذلك المكان، فقد علم أن هذه الأنفس بأي أرض تموت وهي من الخمس، وأخبر عن أشياء تقع بعده إلى يوم القيامة، فوقعت كما أخبر، وهذا مما لا تدري نفس ماذا تكسب غدا. انتهى.

فانظر أولا إلى هذه العبارات الركيكة، وقوله: وأخبر عن أشياء تقع بعده إلى يوم القيامة فوقعت كما أخبر.

مقتضى هذه العبارة: أن جميع ما أخبر بوقوعه بعده إلى فناء الدنيا قد وقع، وليس كذلك؛ وإنما وقع منه ما وقع إلى زمان هذا الرجل، وأخبر عن وقوع أشياء لم تقع بعد وهي واقعة بلا شك، والمراد أن هذا الرجل يأتي بعبارات فاسدة.

ويقال ثانيا: هل ينكر ذلك مسلم؟ وهذا ونحوه مما أخبر به من الغيب الذي استثناه سبحانه في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن:٢٧]. فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه[١].

---

(١) معنى هذا: يقول ابن جرجيس مستدلا على أن الرسول ﷺ يعلم الغيب كله ولا يخفى عليه شيء، وأنه ﷺ أشار إلى مصارع القوم يوم بدر، وأشار إلى أن فلانا يقتل هنا، ووقع الأمر كما أخبر، وهذا من الأمور الخمسة التي قال الله - تعالى - فيها: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُ...﴾ [لقمان:٣٤]، والرسول ﷺ أخبر بأن هنا مصرع فلان وهنا مصرع فلان وقد وقع؛ مما يدل على أنه يعلم الغيب كله. =

واستدل بقول المسيح عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران:٤٩]. فنقول وهذا من معجزات المسيح عليه السلام[(١)].

وأورد ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا وقعت النطفة في الرحم، بعث الله ملكا فقال: يا رب مخلقة، أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة، مجَّتها الأرحام دما، وإن قال: مخلقة، قال: يا رب فما صفة هذه النطفة، أذكر أم أنثى؟ ما رزقها؟ ما أجلها؟ أشقي أو سعيد؟ قال: فيقال له: انطلق إلى أم الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة! قال: فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي على آخر صفتها»[(م١)].

قال: فهذا يدل على أن الله يطلع بعض خلقه على شيء من الخمس وهو الملك.

= فرد عليه المصنف قال: لا، أخطأت، بل نؤمن بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وما أخبر به الرسول ﷺ كله صحيح، والذي أخبر به هو من معنى ما دلت عليه الآية: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ...﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]. فالله - تعالى - أطلعه في هذه الآية على مصارع القوم فوقع كما أخبر، ولا يلزم منه أنه يعلم كل شيء، إنما يطلعه على بعض الأشياء التي أخبر بها النبي ﷺ مما قد وقع في وقته، أو يقع بعده، ومما سيقع يوم القيامة، ولا يلزم منه أن جميع الغيوب كلها يعلمها.

(١) يعني: يقول ابن جرجيس: أن الأنبياء يعلمون الغيب، ومن جملتهم عيسى عليه السلام قال: أنبئكم ما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم، فهو يخبرهم بما لا يعلمه مما هو موجود في بيوت الناس؛ مما يدل على أنه يعلم الغيب.

(م١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تأويل القرآن: (١٨/ ٥٦٨).

قال: والنبي ﷺ أولى؛ لأنه منصوص عليه في قوله: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

فقوله: إنه منصوص عليه.

الذي يظهر من كلامه أنه منصوص عليه بأنه يعلم ما في الأرحام، وهذا كذب منه[(١)].

وإنما النص في أنه - سبحانه - يطلعه على ما يشاء من غيبه، ومن ذلك اطلاعه - سبحانه - رسوله على ما يشاء اطلاعه عليه مما في الأرحام؛ إن كان قد وجد من ذلك شيء[(٢)]، لا أنه يعلم جميع ما في الأرحام، وجميع ما أورده

---

(١) معنى هذا: يقول ابن جرجيس مستدلا على أن الرسول ﷺ يعلم الغيب: جاء هذا في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن النطفة إذا وقعت في الرحم تكون نطفة ثم علقة، ثم مضغة، ثم يرسل إليها الملك فينفخ فيها الروح، فيقول يارب:
أذكر أم أنثى؟ مخلقة أم غير مخلقة؟ ما أجله؟ ما سعادته؟ متى يموت؟ فيقال: اذهب إلى اللوح فتجد قصة هذه النطفة فيذهب.
فهذا الملك يعلم ما في الرحم، ويعلم متى يموت، ويعلم شقاءه وسعده، فالرسول ﷺ أحق بهذا العلم من هذا الملك.
فظاهر الكلام: أن الرسول يعلم ما في الأرحام، ويعلم هل هذا شقي أم سعيد، ويعلم الإنسانَ بأي أرض يموت.
فرد عليه المصنف رحمه الله بأن كل هذا كذب، وأن الرسول ﷺ لا يعلم ما في الأرحام، لا يعلمه إلا الله عز وجل، وإن كان الملك اطّلع عليه بحكم أن الله وكله أو أمره لا يلزم منه أن الرسول ﷺ يعلمه أيضًا.

(٢) قراءة هذه الردود هو لأجل معرفة مثل هذه الشبه وهذه الأشياء التي ربما لا تخطر ببال، وربما أورد عليك المشبه شيئا من هذا؛ فتستطيع الرد.

المعترض في هذا المحل: من خبر المسيح وأثر ابن مسعود وأمر قتلى بدر وغير ذلك مما يعلم هو أنه لا حجة له فيه، وأننا لا ننكره، إنما أراد التجهيم على الجهال وتكثير السواد في القرطاس. وجاء في الحديث عنه ﷺ قال في الساعة: لا يجليها لوقتها إلا الله، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك وما شاء الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه - تعالى - سواه، لكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى أو سعيدا أو شقيا علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدا في دنياها وأخراها، وما تدري نفس بأي أرض تموت.

قال المعترض: وقد أخذ جمع من العلماء أن قول النبي ﷺ لجبريل: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»(م١). أن المعنى: أنا وأنت في العلم بها سواء فكما تعلمها أنت أعلمها أنا.

فالعجب من هذا التحريف لكلام رسول الله ﷺ الذي شابه فيه اليهود - الذي يحرفون الكلم عن مواضعه -، مع معارضته لنص الحديث نفسه - حديث جبريل - من رواية أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين لما سأل النبي ﷺ عن الساعة قال: "**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ! وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتْ الْمَرْأَةُ رَبَّتَهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ**

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٥٠)، ومسلم في صحيحه، (ح: ١).

رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ ﴾ الآية(م١).

وقوله: «فِي خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ»، أي: هي من الخمس المذكورة في الآية التي اختص الله بعلمها، ولا أظن هذا التأويل يصدر ممن عنده علم؛ لأن نص الحديث يكذبه، واحتجاج المعترض بما حكاه في تأويل هذا الحديث وبما نقله عن المدابغي صريح في أنه يقول بذلك، وهذا كفر صريح لمعارضته نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

واستشهد هذا على دعواه بما نقله عن علي القاري في شرح المشكاة أنه قال: ما التوفيق بين قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤]. وبين ما اشتهر عن العرفاء من الأخبار الغيبية؟ كما قال الشيخ الكبير أبو عبدالله في معتقده أنه قال: ونعتقد أن العبد يتنقل في الأحوال حتى يصير إلى نعت الروحانية، فيعلم الغيب وتطوى له الأرض، ويمشي على الماء، ويغيب عن الأبصار.

فالجواب: أن للغيب مبادئ ولواحق، فمبادئه لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأما اللواحق فهو ما أظهره الله على بعض أحبابه من لوحة علمه، وخرج ذلك عن الغيب المطلق فصار غيبا إضافيا؛ وذلك إذا تنورت الروح القدسية، وازداد نورها وإشراقها، والمواظبة على العلم والعمل، وفيضان الأنوار

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٤٧٧٧)، ومسلم في صحيحه، (ح:١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الإلهية حتى يقوى النور وينبسط في فضاء قلبه فتنعكس فيه النقوش المرسمة في اللوح المحفوظ، ويطلع على المغيبات ويتصرف في أجسام العالم السفلي. انتهى(م١).

مراده بالنقوش المرسمة في اللوح المحفوظ: الكتابة التي جرى بها القلم في اللوح المحفوظ.

أورد المعترض هذا الكلام بعد قوله: وهذا قررناه بناء على أن الله – سبحانه – يطلع نبينا وغيره من المقربين على الخمس، فاحتج بقول هذا الضال على دعواه الباطلة من أن الله يطلع نبينا وغيره من المقربين على الخمس، فمن ادعى أنه إذا أراد نفسه يرى ما كتب في اللوح المحفوظ ويعلم الغيب فهو كافر، فإذا ضم إلى ذلك دعوى أنه يحصل له من القدرة ما يتصرف به في العالم السفلي ازداد كفرا.

ثم قال المعترض: ويحتمل أن هذه الخمس لم تكتب في اللوح المحفوظ، وأنها في غامض علم الله وما استأثر الله به، وقد قال قبل ذلك وهذه الفواتح لا يلزم أنها في اللوح المحفوظ، بل هي في أم الكتاب وهي غير اللوح. وهنا قال إنها في غامض علم الله، وكذّب نفسه بذكره بعد ذلك الأثر المروي أن الملك الموكل بالرحم يقول: أي رب مخلقة وغير مخلقة -إلى أن قال- فيقال: اذهب إلى الكتاب فإنك ستجد فيه قصة هذه النطفة.

(م١) يُنظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي ملا القاري: (٣/ ٦٢-٦٣).

فانظر إلى تناقص هذا، تارة يقول: إن الناظم أراد بقوله اللوح والقلم: ألواح الناس وأقلامهم، وتارة يعترف بأن الناظم أراد اللوح والقلم الذي جرى بالمقادير، ولكن هذه الخمس لم تكتب فيه، بل هي في غامض علم الله، وتارة يقول: هي في أم الكتاب، يعني: الخمس، وهي غير اللوح المحفوظ ويجزم بذلك، وتارة يقول في أثناء كلامه: وهذا بناء على أن الله يطلع نبينا وغيره على الخمس، ويحتج على ذلك بما نقله عن المدابغي والقاري، والشيخ الضال الذي يدعي أن الإنسان قد يطلع على اللوح المحفوظ ويعلم الغيب ويتصرف في العالم السفلي.

وقوله إنها في غامض علم الله، يعني: الخمس، وأنها لم تكتب في اللوح المحفوظ.

يكذب هذا القول نصوص الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

قال ابن كثير في الآية: "يخبر ﷻ عن كمال علمه بخلقه فلا يعزب عنه مثقال ذرة، وأنه - سبحانه - علم الكائنات كلها قبل وجودها، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: **«كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»**(م١).

(م١) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٢٦٥٣)، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وفي السنن من حديث جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»(م١).

وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام، وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: علمي في خلقي إلى يوم تقوم الساعة، فجرى القلم بما هو كائن في علم الله -تعالى- إلى يوم القيامة، فذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]"(م٢).

وجميع المفسرين على أن المراد بالكتاب في الآية: هو اللوح المحفوظ، وأن كل شيء من الكائنات مكتوب فيه، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢](١).

---

(١) معنى هذا كله: هو أن المعترض يرى أن الرسول ﷺ يعلم الغيب، وأن معنى سؤال جبريل له حين سأل النبي ﷺ: «**أخبرني عن الساعة**»، قال الرسول ﷺ: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»! قال: هذا يدل على أن الرسول يعلمها وأن جبريل يعلمها، يعني: أن علمي وعلمك=

(م١) أخرجه أبو داود في سننه، (ح: ٤٧٠٠)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(م٢) **يُنظر**: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٢/ ٣٩٥-٣٩٦).

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين قال: «**إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ»، قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَبِلْنَا، جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الأَمْرِ مَا كَانَ، قَالَ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**»(م١).

فهذا الحديث شاهد للمفسرين في تفسيرهم الكتاب في الآيات باللوح المحفوظ، وأن كل شيء مكتوب فيه وأنه أم الكتاب. والمراد بيان كذب هذا وبيان تناقضه وهو لا يشعر بذلك، بل هو خابط خبط عشواء، وثبت في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ: لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللهُ، وَلَا**

= فيها سواء، كلنا نعلم متى تقوم الساعة، فهذا لا شك أنه تأويل للحديث عن ظاهره؛ بل عن صريحه. قال: «**وسأحدثك عن أشراطها**»؛ مما يدل على أنه ﷺ نفى علمه عن قيام الساعة، لا هو ولا جبريل، كما في الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ...﴾ [الأعراف: ١٨٧].

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٧٤١٨).

يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ»(م١)... وتقدم حديث أبي هريرة، وقول النبي ﷺ: **«فِي خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ»**(م٢).

أفيظن مسلم أن أصحاب رسول الله ﷺ يحدثون الأمة بهذه الأحاديث المصرحة بتفرد الله - سبحانه - بعلم هذه الأمور المذكورة في هذه الأحاديث، وأن عندهم ما يخالف ذلك فيكتمونه فيحصل التلبيس على الناس في هذا الباب، فيلزم من ذلك اعتقاد الباطل حقا والحق باطلا، والصواب خطأ والخطأ صوابا. صانهم الله عن ذلك.

أم يظن مسلم أنه خفي على أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين ما ادعاه هؤلاء الضلال وعلموه هم، هذا من أبطل الباطل، ويزيد ذلك وضوحا ما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: **"وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ - أي النبي ﷺ - يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ:** ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾. هذا لفظ مسلم(م٣)، ولفظ البخاري: **"وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ - أي النبي ﷺ - يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ:** ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ﴾(م٤). ومرادها رضي الله عنها نفي ذلك عنه ﷺ في حال حياته.

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **«أُوتِيَ نَبِيُّكُمْ ﷺ مَفَاتِيحَ**

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٧٣٧٩).

(م٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٤٧٧٧).

(م٣) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٢٨٧).

(م٤) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٤٨٥٥).

كُلِّ شَيْءٍ غَيْرَ خَمْسٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]»(م١).

وفيما ذكرنا من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة كفاية في بيان بطلان دعاوى هذا البغدادي، ومن نقل عنه: كالمدابغي والقاري وغيرهما كمحرف قوله ﷺ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»(م٢).

وأورد المعترض حديث المنام وقوله ﷺ: "رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟(م٣) -إلى أن قال- «فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ»(م٤) وفي رواية: «فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»(م٥) وفي رواية: «فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»(م٦).

وليس في ذلك ما يدل على أنه ﷺ علم على ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ، ولا أنه علم مفاتيح الغيب. قال غير واحد ممن شرح الحديث: يحمل ذلك على أن الله - سبحانه - كشف له عن الأعيان الموجودة إذ ذاك. وهذا هو الظاهر

(م١) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ٣٦٥٩).

(م٢) سبق تخريجه. (ص٣٥).

(م٣) أخرجه الدارمي في سننه، (ح: ٢١٩٥) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(م٤) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٣٢٣٥)، وأحمد في المسند، (ح: ٢٢١٠٩) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(م٥) أخرجه الدارمي في سننه، (ح: ٢١٩٥) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

(م٦) أخرجه أبو يعلى في مسنده، (ح: ٢٦٠٨) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

وهو صريح رواية: «فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، ورواية: «فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ». و (ما) موصولة، أي: فعلمت الذي بين المشرق والمغرب، أي: الموجود بينهما، يوضح ذلك لو قلت: دخلت دار فلان فعلمت ما فيها، إنما يتناول علمك الموجود فيها من الأشياء حين دخولك، لا ما يوجد فيها بعد ذلك، والله أعلم.

ولما ذكر ابن كثير قول بعض المفسرين على قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام:٧٥]، أنه فرجت له السموات فنظر إلى ما فيهن حتى انتهى بصره إلى العرش، وفرجت له الأرضون السبع فنظر إلى ما فيهن؛ قال: فيحتمل هذا أنه كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عيانا، ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة، كما روى الإمام أحمد والترمذي وصححه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في حديث المنام: «أتاني ربي في أحسن صورة، فقال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ -فذكر الحديث- ثم تلا: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين»[م١]. انتهى[م٢].

(م١) لم أقف عند أحمد والترمذي على هذه الرواية بلفظها من رواية معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ بل المذكور عند أحمد بلفظ مقارب له، (ح: ٢٢١٠٩) من رواية معاذ بن جبل رضي الله عنه دون ذكر الآية، وذُكرت الآية في حديث لم يُصرح فيه باسم الراوي، وإنما هو معزو لبعض أصحاب النبي ﷺ، ورقمه في مسند أحمد: (١٦٦٢١). أما عند الترمذي في الجامع فرواية معاذ بن جبل رضي الله عنه دون ذكر الآية، إضافة لتغاير اللفظ، ورقمه: (٣٢٣٥)، وله أيضا روايتان مقاربة في اللفظ دون ذكر الآية، وهما من رواية ابن عباس رضي الله عنهما لا من رواية معاذ بن جبل رضي الله عنه، ورقمها: (٣٢٣٣)، (٣٢٣٤).

(م٢) **يُنظر**: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٣/ ٢٦٠).

وذكر المعترض حديث حذيفة أنه قال: «إن النبي ﷺ أخبرنا عن كل ما يقع إلى يوم القيامة حتى دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، حتى إنا لنرى الطائر يقلب جناحيه فنذكر منه علما». هكذا أورده البغدادي، جعل ذلك كله من قول حذيفة، وحرّف اللفظ والمعنى، فأول هذه الجملة من كلام حذيفة، وآخرها من قول أبي ذر، لكنه غير الكلام فأفسد اللفظ والمعنى. فنميز قول حذيفة من قول أبي ذر رضي الله عنه؛ ليتبين للناظر تخبيط هذا الجاهل، ففي صحيح البخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال: «**لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ خُطْبَةً، مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ، فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ**»[م١].

قال حذيفة: «**وَاللهِ مَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَصْحَابِي، أَمْ تَنَاسَوْا؟ وَاللهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا، يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلَاثَ مِائَةٍ فَصَاعِدًا، إِلَّا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ، وَاسْمِ أَبِيهِ، وَاسْمِ قَبِيلَتِهِ**». هذا لفظ حذيفة[م٢].

وقال أبو ذر: «**لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَرَنَا مِنْهُ عِلْمًا**». انتهى[م٣].

فانظر إلى تخبيط هذا وتحريفه الفاحش، يقول أبو ذر: «**وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ**

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له (ح: ٦٦٠٤)، ومسلم في صحيحه، (ح: ٢٣).

(م٢) أخرجه أبو داود في سننه، (ح: ٤٢٤٣).

(م٣) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ٢١٤٣٩).

طَائِرٌ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا»؛ يعني: إلّا ذكر لنا النبي منه علما، وهذا يقول: «إنا لنرى الطائر يقلب جناحيه فنذكر منه علما»، أي: نذكر نحن من الطير علما. فغير كلام الصحابي وأبدله بكلام لا معنى له.

وقول أبي ذر وحذيفة يدل على أنه ﷺ أخبرهم بأمور جزئيات من الغيب تحدث بعده أطلعه الله عليها، وهل في ذلك ما يدل على أنه أخبرهم بوقت الساعة؟ أو أنه أخبرهم بما في أرحام نسائهم ودوابهم؟ أو أنه أخبر كل واحد بأي أرض يموت؟ أو بما يحدث له من الذرية، ومتى يموت هذا؟ مما يعلم قطعا أنه لم يكن منه شيء.

وكذلك حديث المنام ليس فيه ما يستأنس به لهذا المبطل، وما ذكرنا من قول عائشة وابن مسعود كاف في بطلان دعوى من قال: إن الله لم يقبض نبيه حتى أطلعه على جميع ما كتمه عنه. وكذلك ما حدث به أصحاب رسول الله ﷺ عنه ﷺ مثل قوله: «**مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ**»(م١). وقوله عن الساعة: «**فِي خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ**»(م٢). يخبر الصحابة التابعين بذلك، والتابعون يخبرون من بعدهم، وأهل الحديث يرون هذه الأحاديث ويثبتونها في كتبهم، ولا يذكرون ما يخالفها مما هو الحق في زعم هؤلاء الملحدين، حتى يجيء هؤلاء المفترون على الله الكذب وعلى رسوله، فيبينون للناس ما خفي على الصحابة والتابعين وجميع

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٤٦٩٧) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(م٢) أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له (ح: ٤٧٧٧)، ومسلم في صحيحه، (ح: ٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

علماء المسلمين! هذا مما يقطع ببطلانه كل عاقل، وأبلغ من ذلك إخبار الله - سبحانه - في كتابه بتفرده بعلم الغيب ونفيه عن غيره، حتى عن نبيه محمد ﷺ.

والمفسرون من الصحابة ومن بعدهم يقررون ما دلت عليه الآيات، ولم يذكر أحد منهم خلاف مدلولها، وهذا ظاهر ولله الحمد، لكن لأجل ترويج الكَذَبَةِ على الجهال يحتاج إلى إيضاح ذلك[1].

---

(١) حاصل هذا البحث يقول: إن المعترض في مكان حدثهم أن الرسول ﷺ يعلم الغيب، وأن الله - جل وعلا - أطلعه على العلوم كلها، استدل بالآيات السابق بيانها، ولا دلالة له فيها، وقد تقدم الجواب عنها، لكن بحثه الآن. استدل العراقي بحديث اختصام الملأ الأعلى، قال - وهو يعني النبي ﷺ - قال: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ». وذكر اختصام الملأ الأعلى، وقال: وأن الله تجلى له حتى علم الرسول ما في السماء والأرض وعلم ما بين المشرق والمغرب.

يقول المعترض: هذا يدل على أن الرسول ﷺ علم كل شيء، علم ما في السماء وما في الأرض، وما بين المشرق والمغرب، وأنتم تنفون أن الرسول ﷺ علم، وهذا حديث الاختصام بالملأ الأعلى أن الرسول ﷺ رأى ربه - جل وعلا - في النوم في أحسن صورة، وأنه علَّمه بما في السماوات وما في الأرض، وما بين المشرق والمغرب [...] إيش الجواب؟

أجاب عنه المصنف هنا فقال: ما فيه دلالة على أن الرسول ﷺ علم ما حدث وما سيحدث، ولا فيه أنه علم بما في اللوح المحفوظ، وما جرى به القلم كما يزعم؛ لأنه استدل على أن الرسول ﷺ علم بما في اللوح المحفوظ وبما جرى به القلم بهذا، فقال له ليس في الحديث ما يدل على هذا، إنما على تقدير صحة الحديث، الرسول ﷺ علم الشيء الموجود حال علمه فقط، وما أحدثه الله - جل وعلا - وأوجده بعد ذلك فلا، كما تقول: (دخلت دار زيد فعلمت ما فيها)، قولك: فعلمت ما فيها هل يشمل الشيء [...]، أو الشيء الموجود حين دخولك؟=

واعترض هذا على ما كتبناه على قول الناظم:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك -إلى قوله مع قول المشطِّر-
إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي ... ومنقذي من عذاب الله والألم
أو شافعا لي مما قد جنيت غدا ... فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

قال: هذا الاعتراض باطل من وجوه:

الأول: أن هذا الرجل يزعم أن قول الناظم: إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي. وقول المشطر: ومنقذي من عذاب الله والألم. أو شافعا لي إلى آخره؛ أن هذا الإنقاذ بالفعل، وأنه غير الشفاعة وأنه إن لم يحصل بالفعل فبالشفاعة، وليس كما زعم؛ لأن الإنقاذ والأخذ باليد هو أيضا بالشفاعة؛ لأن غير الشفاعة يكون

= طبعا أنه خاص بالشيء الموجود حين دخولك: (دخلت دار زيد فعلمت ما فيها) ما علمت إلا الشيء الموجود، أما ما اشترى فيما بعد، وأحضر فيما بعد، أو يومين أو سنين أو أيام أو أكثر فأنت لا تدري عنه، فعلى تقدير صحة الحديث: الرسول ﷺ علم خلال تلك الساعة التي اطلع عليها فقط لو فرضنا صحته، أما مِن أنه علم ما سيحدثه الله - جل وعلا -، وما جرى به القلم، ومتى تموت أنت، وهل سيخلق أناس، فهذا أبدا لا يدل عليه الحديث؛ بل جاءت أحاديث كلها تدل على أن الرسول ﷺ لا يعلم أي شيء إلّا الشيء الذي علمه الله - جل وعلا -: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨]. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ...﴾ [الأعراف:١٨٧]. وكذلك أيضا أشياء كثيرة، كان يبعث من يتجسس الأخبار عندما يريد أن يغزو فيبعث الجنود ليتخبروا له أحوال العدو. لو كان يعلم كل شيء ما احتاج أن يبعث أحدا، والله أعلم.

استقلالا من دون الله، ولا يتصور اعتقاد هذا من مسلم ولو كان بدويا جاهلا، والمراد تنوع الشفاعة، فالنوع الأول: هو الأخذ باليد والإنقاذ، وقد ورد هذا في الأحاديث الصحيحة في الشفاعة: «**فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ - مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ**»(م١). -إلى أن قال- فما المانع من إطلاق هذا اللفظ؟ وهل هذا الإخراج إلا الإنقاذ من العذاب؟.

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ في المعاد وهو يوم القيامة حي كحاله في الدنيا هو وجميع الخلائق، فلا مانع ذلك اليوم من أن يتسبب ويخرج وينقذ من الشدة؛ لأنه حي حاضر. قال: وعند هذا الرجل وأشياعه أن الحي الحاضر له قدرة بنفسه، قال ابن عبد الوهاب في «كشف الشبهات» في جواب الحديث الصحيح: «أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى حتى ينتهوا

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٧٥١٠)، ومسلم في صحيحه، (ح: ٣٢٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

إلى ﷺ وعليهم أجمعين فيقول: أنا لها، أنا لها». قال: فأجاب عن هذا بأن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب وغيره في أشياء يقدر عليها المخلوق. انتهى[م١].

قال: فإذا كان الحي الحاضر عند هؤلاء ينسبون له الفعل؛ لأنه يقدر عليه، وصاحب البردة يخبر أنه إن لم يكن النبي ﷺ في معادي - وهو يوم القيامة - آخذًا بيدي فضلا وإلّا فقل يا زلة القدم، والنبي وجميع الخلائق ذلك اليوم أحياء حاضرون لهم قدرة فيما يقدرون عليه من الأمور العادية الحسية، ونسبة الأفعال إلى فاعلها وأسبابها جائزة شرعا وعرفا، فكيف ينكر إنقاذ النبي ﷺ أمته من العذاب، ويجعله ممتنعا وأنه خلاف الشفاعة! مع أن النبي حينئذ حاضر، له قدرة فيما يقدر عليه ذلك اليوم، ويقدر على ذلك كما هو في حال الحياة الدنيا، كما كان يرمي العدو وهم ألوف بكف من تراب فيعميهم، ويروي الألوف العطاش ويشبعهم بقليل من الماء والطعام، وفي الحديث: «**مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي**»[م٢]. وأعظم من هذا أن الله نسب إخراج الكفار من النور إلى الظلمات إلى الطاغوت وهي الأصنام مع أنها لا قدرة له بوجه، لكن لما كانت سببا للإخراج نسب الإخراج إليها، وكذلك هنا لما كان النبي ﷺ سببا

(م١) **يُنظر**: كشف الشبهات لمحمد بن عبدالوهاب: (ص٥٠-٥١).

(م٢) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٢٢٨٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

للإنقاذ من العذاب نسب الإنقاذ إليه. وفي دعاء الاستسقاء: «**اللهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا**»(م١). قالوا: معناه منقذا من الشدة، مع أن الغيث جماد لا قدرة له، لكن لما كان سببا للإنقاذ والإغاثة نسب الإنقاذ إليه، وقد اشتهر عند العلماء: أنبت الربيع البقل، ومنع البقاء تقلب الشمس، مع أن المنبت في الحقيقة هو الله، والمانع للبقاء هو الله، وقال: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ [القصص:١٥]. مع أن القضاء من الله، وقال في حق نبيه: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأعراف:١٥٧]، مع أن الواضع هو الله، لكن لما كان سببا للفعل نسب الفعل إليه، بل جميع الأفعال تنسب إلى فاعلها، فيقال: فلان أعطي وفلان منع، وفلان نفعني وفلان ضرني، ويلزم على قول هذا ألّا تنسب الأفعال إلى فاعلها ولا قائل به. قال: وورد نسبة الإنقاذ من النار إلى المعاني من الأعمال، وقد ورد في حديث صحيح قال: «**رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ سُلِّطَ عَلَيْهِ عَذَابُ الْقَبْرِ، فَجَاءَتْهُ صِلَاتُهُ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ ذَلِكَ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدِ احْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ، فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللهِ فَخَلَّصَهُ مِنْهُمْ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْهَثُ مِنَ الْعَطَشِ، فَجَاءَهُ صِيَامُ رَمَضَانَ فَسَقَاهُ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ، وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ، وَعَنْ شِمَالِهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ تَحْتِهِ ظُلْمَةٌ؛ فَجَاءَهُ حَجُّهُ، وَعُمْرَتُهُ، فَاسْتَخْرَجَاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ...**»(م٢).

(م١) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ١٨٠٦٢) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(م٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، (ح: ١١٧٤٦). وهو حديث لا يصح. يُنظر: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي: (٢/ ٢٠٨-٢٠٩) من حديث عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

فإذا جاز نسبة الإنقاذ من النار إلى المعاني لكونها أسبابا؛ فنسبتها إلى الذوات من باب أولى، خصوصا أشرف الذوات من المخلوقين. انتهى.

وجوابه أن يقال: أولا: وازن بين قول يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك، وبين قول الذي قال له النبي ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا**». حيث قال له ما شاء الله وشئت(م١).

فهذا لو قال ما لي من ألوذ به إلا الله وأنت، لكان أقبح من قول القائل ما شاء الله وشئت؛ لأن الله أثبت للعبد مشيئة بقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨]. ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الإنسان:٢٩]. فكيف إذا أفرد الرسول باللياذ والالتجاء من عذاب ذلك اليوم، الذي لا تكلم فيه نفس إلا بإذنه!

وقد ذكرت في الجواب السابق الفرق بين قول هذا في تشطيره ومنقذي من عذاب الله والألم، وبين قوله: أو شافعا لي؛ لأن المعترض الأول ادعى بجهله أن عطف الشفاعة على الإنقاذ عطف تفسير ومعنى الكلمتين واحد، وبينا بطلان قوله هذا، وأن قوله أو شافعا لي لا يصلح كونه عطف تفسير؛ لأنهم ذكروا أن عطف التفسير إنما يكون بالواو خاصة، وممن ذكر ذلك ابن هشام. وأما العطف بأو فهو نص في أن المعطوف غير المعطوف عليه، مع أن العامي فضلا عن العالم يفرق بين اللفظين، فلو قصد إنسان إنسانًا وقال قصدتك لحاجة كذا، فإما أن تقضيها أو تشفع لي عند فلان في قضائها، فكل أحد يعرف الفرق بين العبارتين، كما فرق القرآن بينهما

(م١) سبق تخريجه.

في قول صاحب يس: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [يس:٢٣]. فالإنقاذ هو بالنصرة والمظاهرة، والشفاعة بالجاه والمكانة(١).

(١) معنى هذا: يقول العراقي: أنكم تنكرون علي وعلى صاحب البردة؛ لأنه يقول من تشكون له [...]، ومنقذي من عذاب الله والألم. أن الرسول هو الذي ينقذه، قال: أنتم تقولون أن الاستغاثة بالحي الحاضر جائز كما ذكر ابن عبد الوهاب في الكشف، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه من حوله تقولون إنه جائز. نقول لك: أن هذا قول العراقي أن قوله: (يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به) هذا نقوله يوم القيامة؛ لأنا نطلب منه المدد والاستغاثة يوم القيامة وهو حي حاضر، فكيف تمنعون من هذا؟ هذه ناحية.
الشيء الثاني يقول: إن الرسول كان قد أشار إلى مصارع القوم كما تقدم بيانه، ويقول أيضًا: إن الرسول ومن نسألهم الشفاعة كلهم أحياء يوم القيامة قادرون على أن ينفعوا من دعاهم ويغيثوا من سألهم، وكما تدعون في الاستسقاء - هذا قول العراقي - (اللهم اجعله غيثا مغيثا)، ومعنى غيثا مغيثا يعني: منقذا، فنسبتم المنقذ إلى نفس الغيث، وكما تقولون أيضا: إن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، ومن صام رمضان فله كذا. فأضفتم الأسباب والفعل إلى هذه المعاني فَلَأَنْ تُضاف إلى الرسول بطريق أولى؛ هذا حاصل رده.
فرد عليه الشيخ - وإن كان لم يُكمل الرد بعد - بما معناه: ليس هذا كهذا حتى يوم القيامة، الرسول لا يشفع ولا ينقذ أحدا إلا بعد إذن الله له، لا أنه يملك شيئا من ذلك، ثم إن المخالف يقول: (يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به)، نبي الله فلم يقل مالي من ألوذ به إلا الله. وقال أيضًا الرسول لرجل قال: «ما شاء الله وشئت»، قال: «**أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا**»(ت١). مع أنه له مشيئة وكل منًّا له مشيئة؛ إلّا أنها تابعة لمشيئة الله، ففرق بين هذا وذاك، وإن كان الرسول حي يوم القيامة، لكن لا يشفع إلّا بعد إذن الله له، لا يملك أن ينجي أحدا من النار، ولا يملك أن يدخل أحدا الجنة أبدا ليس إليه، بل الأمر لله - جل وعلا - إنما يشفِّعه، والله لا يشفَّع إلّا لمن أذن الله. قوله: ففرق بين هذا وذاك، هذا حاصله.

(ت١) سبق تخريجه.

قال ابن القيم بعد كلام سبق على الآية: إن العابد يريد من معبوده أن ينفعه وقت الحاجة دائما، وإذا أرادني الرحمن الذي خلقني بضر لم يكن لهذه الآلهة من القدرة ما تنقذني بها من ذلك الضر، ولا من الجاه والمكانة ما تشفع لي إليه لأتخلص من ذلك الضر، فبأي شيء تستحق العبادة، إني إذا لفي ضلال مبين، إن عبدت من دون الله مَنْ هذا شأنه. انتهى(م١).

وقال البيضاوي: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [يس:٢٣]. أي: لا تنفعني شفاعتهم، ولا ينقذون بالنصر والمظاهرة: ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس:٢٤]. فإن إيثار من لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر وإشراكه به؛ ضلال مبين لا يخفى على عاقل. انتهى(م٢).

وقوله: إن الإنقاذ والأخذ باليد هو أيضا بالشفاعة؛ لأن غير الشافع يكون استقلالا من دون الله، ولا يتصور اعتقاد هذا من مسلم.

قلت: ولا يتصور ذلك من أحد من مشركي العرب الذي بعث إليهم محمد ﷺ، فإنهم كلهم معترفون بأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تدبر شيئا من دون الله، ونصوص القرآن كثيرة في ذلك، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١]. أي: أفلا

(م١) يُنظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة لابن القيم: (٢/ ٤٩٧).
(م٢) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: (٤/ ٢٦٦).

تتقون الشرك في الألوهية إذا أقررتم بالربوبية؟ وقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]. ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩]. واعترفوا أيضا بصفة العزة والعلم لله، والآيات في هذا كثيرة معلومة عند الجميع، يحتجُّ سبحانه عليهم بإقرارهم بتوحيد الربوبية على إشراكهم في توحيد الألوهية، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: إيمانهم إذا قيل لهم: من خلق السموات والأرض والجبال؟ قالوا: الله، وهم يعبدون معه غيره! ولهذا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلّا شريكا هو لك تملكه وما ملك[م١]. وقال عطاء في الآية: إيمانهم إخلاصهم الدعاء لله في الشدائد وينسون في الرخاء، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت:٦٥][م٢]. والآية تعم ذلك كله.

فهذه نصوص القرآن صريحة في أن المشركين يعترفون بتوحيد الربوبية اعترافا جازما غير مترددين ولا متوقفين، بل يقرون بجملة من صفات الرب سبحانه وتعالى ينكرها كثير

(م١) يُنظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي: (٥/ ٢٦٢).

(م٢) يُنظر: معالم التنزيل للبغوي: (٤/ ٢٨٣).

من المسلمين المنحرفين، كإقرارهم بصفة العزة والعلم، ويقرون أيضا بعلوه فوق سمواته كما في حديث حصين بن المنذر لما قال له النبي ﷺ: «**كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟ سَبْعَةً، سِتةً فِي الْأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ: فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ**»(م١). وكما في شعر أمية بن أبي الصلت وغيره.

وأخبر الله عنهم أنهم ما أرادوا من آلهتهم إلا الشفاعة عند الله في أمور دنياهم، وكذا من يعترف منهم بالآخرة، فإذا طلبوا من آلهتهم حاجة من حوائجهم من رزق أو نصر على عدو ونحو ذلك لم يقولوا إن آلهتهم تحدث شيئا من مطلوبهم من دون الله وتستقل بذلك، لم يقل هذا أحد منهم، وإنما كانوا يقولون: إننا إذا طلبنا حاجتنا من هذا الوجيه عند الله حصل مطلوبنا لوجاهته عند الله، ولهذا يخلصون الدعاء لله في الشدائد وينسون الوسائط، كما قال تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٤١].

إذا تبين هذا فإذا خوطب النبي ﷺ أو غيره من الأموات والغائبين بلفظ من ألفاظ الاستغاثة، أو طلب منه حاجة بقول: أغثني أو أنقذني من كذا، أو خذ بيدي أو اقض حاجتي أو أنت حسبي أو أشكوا إليك حاجتي، ونحو ذلك، يتخذه واسطة بينه وبين الله في ذلك فهذا شرك العرب الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ.

وقول المستغيث: خذ بيدي أو أنقذني، من أبلغ ألفاظ الاستغاثة، فلو اعتقد الداعي أن من دعاه وطلبه يقضي حاجته استقلالا من دون الله كان هذا

(م١) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٣٤٨٣).

شركا في توحيد الربوبية والألوهية[1].

قال شيخ الإسلام تقي الدين -رحمه الله تعالى-: ومن رحمة الله - سبحانه - أن الدعاء المتضمن شركا كدعاء غيره إن يفعل، أو دعائه إن يدعو، ونحو ذلك لا يحصل غرض صاحبه، ولا يورث حصول الغرض شبهة إلّا في الأمور الحقيرة، فأما الأمور العظيمة كإنزال الغيث عند القحوط، وكشف العذاب النازل؛ فلا ينفع فيه هذا الشرك، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٤٠-٤١]. وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]. وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٢]. وقال:

---

(١) معنى هذا: هو أن الرب ﷻ كثيرا ما يحتجّ على وحدانيته بربوبيته، يحتجّ على المشركين بما أقروا به على ما أنكروه وجحدوه، فهم أنكروا إفراد الله بالعبادة، واعترفوا بأن الله هو الذي يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويدبر شؤون هذا العالم.
هذا اعترفوا به، فالرب يحتجّ عليهم بما معناه: إذا كنتم معترفين أني أنا الذي أخلق وأرزق؛ فمالكم لا توحدوني بالعبادة، وتفردوني بالعبادة، مثل قوله تعالى:
﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]. يعني: أن مشركي العرب يقولون: الله هو الذي يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويخرج الحي من الميت والميت من الحي، ويدبر الأمور على ماتقتضيه حكمته وإرادته.
قال: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، معنى أفلا تتقون: أفلا تفردونه بالعبادة. يعني احتجّ عليهم بما أقروا به من توحيد الربوبية على ما جحدوا من إنكار توحيد العبادة.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ﴾ [الزمر:٤٣-٤٤].

فكون هذه المطالب العظيمة لا يستجيب فيها إلّا هو - سبحانه - دل على توحيده، وقطع شبهة من أشرك به. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وجماع الأمر أن الشرك نوعان:

شرك في ربوبيته: بأن يجعل لغيره معه تدبير ما، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴾ [سبأ:٢٢].

فبين أنهم لا يملكون مثقال ذرة استقلالا، ولا يشركون في شيء من ذلك، ولا يعينونه على ملكه، فمن لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عونا فقد انقطعت علاقته.

وشرك في الألوهية: بأن يدعى غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥]، فكما أن إثبات المخلوقات سبب لا يقدح في توحيد الربوبية، ولا يمنع أن يكون الله خالق كل شيء، ولا يوجب أن يدعي المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استعانة؛ كذلك إثبات بعض الأفعال المحرمة من شرك أو غيره أسباب لا تقدح في توحيد الألوهية، ولا تمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص، ولا توجب أن تستعمل الكلمات والأفعال التي فيها شرك إذا كان الله يسخط ذلك ويعاقب عليه، ويكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته، إذ قد جعل الخير كله في ألا نعبد إلّا إياه ولا نستعين إلّا به.

قال: وعامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل، حتى إنه - سبحانه - قطع أثر الشفاعة بدون إذنه كقوله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وقال: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٥١]. وقال: ﴿وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ [الأنعام:٧٠]. وقال: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ [الأنعام:٩٤]. وسورة الأنعام سورة عظيمة مشتملة على أصول الإيمان.

وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ﴾ [السجدة:٤]. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]. وقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ [الزمر:٤٣، ٤٤]. وسورة الزمر أصل عظيم في هذا.

قال: والقرآن عامته إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل الأصول. انتهى[م١].

وما احتج به هذا الملحد من قول النبي ﷺ: «**أُمَّتِي، أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ**

(م١) يُنظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية: (٢/ ٢٢٤-٢٢٨).

فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»(م١).

وقوله: فما المانع من إطلاق هذا اللفظ - يعني لفظ الإنقاذ - وطلبه من النبي ﷺ؟ وهل هذا الإخراج إلّا الإنقاذ من عذاب الله؟

فالعجب من هذا التمويه، فهل فعل هذا ﷺ بنفسه أو بأمر الله له بذلك؟! فالله - سبحانه - هو الذي أكرمه بهذه الشفاعة فهو ﷺ عبد مأمور، لا يشفع إلّا بإذن ربه فيمن أذن الله له أن يشفع فيه فقط، لا يتجاسر أن يشفع في غير من أذن له فيه ربه(١).

---

(١) محصل هذا: هو أن المشبه العراقي شطّر البردة، ومن تشطيره البردة: (ومنقذي من عذاب الله والألم)، يعني: أن الرسول هو المنقذ من عذاب الله. فردوا عليه، لكن استدل بأن الرسول منقذ، استدل بحديث الشفاعة الطويل:

وهو أن الناس إذا جاء يوم القيامة ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، جعل الرسول يقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال له: انطلق انطلق، فأخرج من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، مثقال خردلة من إيمان(تـ١).

قال العراقي: ألم يكن هذا إنقاذ؟ ما دام هو الذي قيل له: انطلق انطلق، فأخرج من النار من كان في قلبه؛ هذا إنقاذ، فالرسول أنقذ من عذاب الله، وأنتم تنكرون علي لما قلت: ومنقذي من عذاب الله والألم. وها هو أنقذ من كان في النار ممن كان في قلبه مثقال حبة أو خردلة من إيمان. =

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٧٥١٠)، ومسلم في صحيحه، (ح: ٣٢٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(تـ١) هذا الحديث ذكره الشيخ ابن حميد رحمه الله بما معناه، وهو عند البخاري في صحيحه، (ح: ٧٥١٠)، ومسلم في صحيحه، (ح: ٣٢٦) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما وغيره.

ثم انظر قول هذا: إن النبي ﷺ حي كحاله في الدنيا هو وجميع الخلائق، فلا مانع في ذلك اليوم من أن يتسبب ويخرج وينقذ من الشدة؛ لأنه حي حاضر، والنبي وجميع الخلائق ذلك اليوم أحياء حاضرون لهم قدرة فيما يقدرون عليه من الأمور العادية الحسية.

قال: وعند هذا الرجل وأشياعه أن الحي الحاضر له قدرة بنفسه، فكيف ينكر إنقاذ النبي أمته من العذاب ويجعله ممتنعا مع أن النبي حينئذ حاضر له قدرة فيما يقدر عليه ذلك اليوم، ويقدر على ذلك كما هو في حال الحياة الدنيا، كما كان يرمي العدو وهم ألوف بكف من تراب فيعميهم، ويروي الألوف العطاش، ويشبعهم بقليل من الماء والطعام.

فلينظر المنصف إلى تقرير هذا المبطل وجعله النبي بل وغيره يتصرفون

ورَدُّ عليه: يقال له: أخطأت، هذا تمويه، فالرسول لم يخرجهم من النار من قبله، إنما هو من قبل الله لما سأل الله ﷻ وطلب منه، قيل: انطلق فأخرج.
فالمطلوب المسؤول هو الله ليس الرسول؛ ولهذا الرسول لم يستطع إخراج أحد إلا بعد أمر الله له، ولا يسند إليه، بل الله ﷻ هو الذي قال له: انطلق انطلق، فأخرج من كان في قلبه.
قال العراقي: في هذا دلالة على أنك أنت يا محمد المنقذ من عذاب الله، وأنت الذي بيديك النفع والضر، وأن الدنيا وضرتها والآخرة كلها بيدك، وأن الدنيا والآخرة من جودك، وأنت المنقذ من عذاب الله، من العذاب الأليم؛ هذا ما دلالته؟!
الرسول لم يستطع أن يُخرج إلا بعد أن أذن الله له وبعد أن أمره، لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا كما في الآية، هذا تمويه. هذا هو حاصل هذا البحث.

في ذلك اليوم كتصرفهم في الدنيا، وأنه ﷺ يفرج وينقذ من الشدة، ويقرر ذلك من هذا التقرير، وأنه ﷺ يقدر على ذلك، أي: الإنقاذ، وتعجبه ممن ينكر ذلك، فقال: وكيف ينكر إنقاذ النبي أمته من العذاب، ويحتج علينا بأنا إذا قلنا: إن للحي الحاضر قدرة في الدنيا على التصرف بالفعل بنفسه؟! يقول: فيلزمكم أن تثبتوا ذلك في الآخرة، لا فرق - ثم قال - ويقدر على ذلك كما هو في حال الحياة الدنيا، وقوله والنبي وجميع الخلائق ذلك اليوم لهم قدرة فيما يقدرون عليه من الأمور العادية الحسية، والمراد بالأمور العادية الأشياء التي يفعلها الحي في العادة، والحسية الأفعال المشهودة بالعيان؛ مثل: إعطاء بعضهم بعضا، ومعاونة بعضهم لبعض، وكذا جناية بعضهم على بعض، والعجب من هذا الضال سوّى في هذه الأمور بين الدنيا والآخرة، ولم يجعل لأخباره -سبحانه- بتفرده بالملك والأمر في ذلك اليوم فائدة ولا معنى، وأي محادة لله ورسوله أكبر من هذا؟ وهذه نصوص الكتاب والسنة نذكر بعضها فيعرض المصنف كلام هذا الرجل عليها.

قال تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة:٤]. قال ابن كثير: إنما أضيف الملك إلى يوم الدين؛ لأنه لا يدعي أحد هناك شيئا ولا يتكلم أحد إلا بإذنه: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴾ [النبأ:٣٨]. وقال: ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [هود:١٠٥]. وقال: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ﴾ [طه:١٠٨]. وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ يقول لا يملك أحد في ذلك اليوم حكما كملكهم في الدنيا

- قال - ويوم الدين يوم الحساب للخلائق، وهو يوم يدينهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر إلا من عفي عنه - قال - وكذا قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف وهو ظاهر(م١).

وقال البغوي: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ إنما خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للأيام كلها؛ لأن الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا له، قال تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان:٢٦]. وقال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر:١٦]. وقال: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾. انتهى(م٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [فاطر:٤]. وقال: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ [هود:١٢٣]. وهذا معنى قوله: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الإنفطار:١٩]. وقال تعالى: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ [الأنعام:٧٣]. وقال: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الحج:٥٦]. وقال: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان:٢٦]. وقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ [البقرة:٤٨].

قال البيضاوي في هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾. قال: وإيراده شيئا منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والإقناط الكلي. انتهى(م٣).

(م١) يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (١/ ٤٧).

(م٢) يُنظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي: (١/ ٥٣).

(م٣) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: (١/ ٧٨).

وما ذكره البيضاوي من أن النكرة في سياق النفي تعم مجمع عليه عند البيانيين والأصوليين، وعليه جميع المفسرين والفقهاء.

وقال تعالى: ﴿وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان:٣٣]. وقال: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ [الدخان:٤١]. وقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [الإنفطار:١٩]. فنكر النفسين وشيئا، وهذا من أبلغ صيغ العموم في النفي كما قال البيضاوي، فيعم جميع الأنفس وكل ما يقع عليه اسم شيء، ثم أكد بقوله: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾.

وقال ابن كثير: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الإنفطار: ١٨،١٧]. تهويل لشأن ذلك اليوم، ولهذا قال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [الإنفطار:١٩]. أي: لا ينفع أحد أحدا، ولا يدفع أحد عن أحد شيئا، ولهذا قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾، كقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان:٢٦]. وقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦]، وكقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]. قال قتادة: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ قال: والأمر والله اليوم، ولكن لا ينازعه يومئذ أحد، ولا يصنع أحد شيئا إلّا رب العالمين[م١].

وقال الزمخشري: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الإنفطار:١٨،١٧]. يعني: أن أمر يوم الدين عظيم بحيث لا يدرك كنهه في الهول والشدة، وكيفما تصورت فهو فوق ذلك وعلى أضعافه، والتكرير لزيادة التهويل، ثم

(م١) **يُنظر**: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٨/ ٣٤٢).

أجمل القول عن وصفه، فقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا أمر إلا الله وحده[م١].

وفي تفسير الجلالين: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ من المنفعة، ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ لا أمر لغيره معه، أي: لم يُمكِّن أحدا من التوسط فيه بخلاف الدنيا[١].[م٢]

---

(١) معنى هذا كله: هو أن المعترض العراقي يزعم أن الرسول يوم القيامة حي حاضر قادر، وهذا معنى تشطير البردة: (ومنقذي من عذاب الله والألم)، وكذلك: (فإن من جودك الدنيا وضرتها)، ويقول: (يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به). كل هذا يكون يوم القيامة، فالحي الحاضر يوم القيامة كالحي الحاضر في الدنيا. فكذلك لو شبَّه عليك مشبه.
نقول: لا. الرسول انقطعت به الوسائل والعُلَق يوم القيامة، الأمر كله لله، ليس للرسول ولا لغيره إلّا الشفاعة، فلا يشفع أحد إلّا بعد إذن الله له؛ بدليل قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]، وهو يوم الجزاء والحساب.
وقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ دلَّ على أن الملك لله، وليس للرسول ولا لغيره؛ بدليل آية أخرى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ يعني التوكيد، ولو قال صوابا وهي: لا إله إلا الله. وكذلك قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان:٤١]، وقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الإنفطار:١٩]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ...﴾ [هود:١٠٥]، وقوله: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ...﴾ [الأنعام:٧٣]. =

(م١) يُنظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري: (٤/ ٧١٧).

(م٢) يُنظر: تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي: (ص٧٩٦).

وقول المعترض: إن البغوي قال في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ إن هذا في النفس الكافرة.

وكذب في نسبة ذلك إلى البغوي؛ فإن البغوي حكى ذلك عن مقاتل، فيحتمل أن مقاتلا خص بعض ما تناولته الآية لمعنى ما، والظاهر أن مراده أن غير الكافر يشفع فيه الشافعون، ويرى أن من أذن له في الشفاعة يملك ما أذن له فيه، كما قال بعض المفسرين في قوله سبحانه: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٨٧]. وقوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]. بناء على أن الاستثناء في الآيتين متصل، وأن من أذن له في الشفاعة يصدق عليه أنه ملك الشفاعة فيمن أذن له فيه فقط، والشفاعة المأذون فيها هي من الأمر الذي اختص الله به - سبحانه - في قوله: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾، والألف واللام في الأمر تفيد العموم عند الجميع كقوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود:١٢٣]. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [آل عمران:١٠٩]. فهو - سبحانه - الآمر والآذن فله الأمر كله وله الملك كله ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر:٤٤]. ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود:١٠٥]. ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ:٣٨]. والعموم في قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الإنفطار:١٩]. كالعموم في

= لا أحد يتكلم ولا أحد يشفع إلّا إذا أذن الله له يوم القيامة، وهي ليس ملكا للرسول، ولا قدرة للرسول ولا لغيره حتى تسأل الرسول، بل اسأل الله ﷻ؛ لأن الله هو مالك الإذن، هو الذي يأذن، والنبي وغيره لا يُسأل، بل يُسأل الذي له الإذن، وهو أن الله يأذن له أن يشفع.

نظائرها من الآيات التي قدمنا ذكرها، كقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة:٤٨]. وقوله: ﴿لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان:٣٣]. وما رأينا أحدا من المفسرين قال في هذه الآيات بالخصوص، بل قرروا عمومها على مقتضاه، ولم يقل أحد منهم في شيء منها إنه مختص بالكفار سوى ما ذكره البغوي عن مقاتل في قوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾[م١]، وليس هو بصواب، وهو مخالف لما عليه المفسرون وأهل العربية والأصوليون والفقهاء في قولهم بعموم النكرة في سياق النفي، فمن له نظر في كتب الجميع وجد ذلك صريحا.

قال في شرح مختصر التحرير: ومن صيغ العموم نكرة في نفي، صرح به أهل العربية[م٢]. وكذا قال العراقي في شرح جمع الجوامع: إن النكرة في سياق النفي تعم[م٣]، ولم يذكر خلافا، وهذا يفهمه كل أحد من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء:١٢٤]. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٤٩]. ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٨]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران:٥]. ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه:١١٢]. فمن سمع هذه الآيات ونحوها لم يشك في عمومها، كيف وفي قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ زيادة تأكيد للنفي؛ لأنه نكر النفسين وشيئا فهو كما قال البيضاوي في قوله: ﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾

(م١) يُنظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي: (٨/ ٢٨٠).

(م٢) يُنظر: مختصر التحرير شرح الكوكب المنير لابن النجار: (٣/ ١٣٦).

(م٣) يُنظر: الغيث الهامع شرح جمع الجوامع للعراقي: (ص١٦٦).

إذ قال: وإيراده شيئا منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والإقناط الكلي[م١].

ولا ريب أن الشفاعة الحاصلة بإذنه سبحانه وتعالى ليست داخلة تحت النفي حتى يقال إن هذا مخصوص بالكافرة، وإنما المنفي نفع أحد أحدا بشفاعة أو غيرها بدون إذنه - سبحانه - كما قال قتادة: وليس أحد يصنع يومئذ شيئا إلّا رب العالمين[١].

---

(١) معنى هذا: هو أن الشفاعة ملك لله سبحانه وتعالى.
المعترض تكلم على قوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ قال: إنها خاصة بالكافر، وأن الكافر لا يملك لأحد شيئا [......].
فالشيخ رد عليه: [...] إنما نقل عن مقاتل فقط، وأن مقاتلا فسر الآية في بعض مفرداتها، وإلا فجميع المفسرين قالوا بخلاف قول مقاتل؛ فإن الله يقول: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، يعني عام في جميع الخلق يوم القيامة.
يقول المعترض: أنتم تقولون إن الإنسان لا يشفع إلّا بإذن الله له؟ قلنا له: نعم. وأن الشفاعة ملك لله؟ قلنا: نعم. قال: ماذا تصنعون بقوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾؟ فالآية تدل على أن من اتخذ عند الرحمن عهدًا يكون في ذلك المستوى، وأنتم تقولون: إن الشفاعة ملك لله، والله أخبر في هذه الآية أن الشفاعة ملك لمن اتخذ عند الرحمن عهدًا، وكذلك الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، دلَّ على أنهم يملكونها.
الجواب: نقول أولا: لا يملكون الشفاعة إلّا من اتخذ عند الرحمن عهدًا ما فيها ما يدل على أنهم مالكون لها على سبيل أن (إلّا) استثناء متصل، فهو يقول: منقطع، لكن تنزلا نعم، نعم يملكها؛ إذا أذن الله له، فإذا أذن الله للشافع أن يشفع ارتبطت به الشفاعة بعد إذن الله له؛ لأنه قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾، فإذا أذن الله لهذا الشافع والشخص المعين فمجرد الشفاعة التي أُذن له فيها يكون مالكا لها، لا أنه مالك لها مطلقا. هذا هو معنى هذه الآيات.

(م١) **يُنظر**: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: (١/ ٧٨).

ومما يوضح خطأ من خص الآية بالكافرة ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا-، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللهِ شَيْئًا**» إلى أن قال: «**وَ يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»[م١]. وفي رواية الترمذي لحديث أبي هريرة: «**أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا**» إلى أن قال: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكِ ضَرًّا وَلا نَفْعًا، إِنَّ لَكِ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا**»[م٢]. وفي صحيح مسلم من طريق آخر عن أبي هريرة قال: «**لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، **دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ: أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا**»[م٣]. وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: "**لَمَّا نَزَلَتْ** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] **قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،**

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٢٧٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(م٢) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٣١٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(م٣) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٢٠٤).

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ»(م١). وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ...**». الحديث(م٢).

فأخبر الصادق المصدوق أنه لا يملك لابنته -سيدة نساء الأمة- وعمه وعمته والمهاجرين والأنصار من الله شيئا ولا يغني عنهم من الله شيئا، فهذه الأحاديث ونحوها شاهدة للعموم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ مع أن الآية صريحة في ذلك، فهذه الأحاديث تزيد الواضح وضوحا ولله الحمد، مع أن قول مقاتل ليس فيه حجة لهذا المبطل؛ لأننا نقطع أن مقاتلا لم يرد أن أحدا يفعل في ذلك اليوم شيئا من دون الله - سبحانه -، أو أن أحدا يشفع عنده بغير إذنه، وإنما أراد نفي الشفاعة في الكافر.

وليتأمل المنصف ما ذكرنا من الآيات والأحاديث المصرحة بتفرد الله - سبحانه - بالملك والأمر في ذلك اليوم، وأنه لا حاكم ولا متصرف هناك سواه - سبحانه -، ويعرض قول هذا الملحد المشرك بين الله وبين رسوله، بل

(م١) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٢٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(م٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٣٠٧٣)، ومسلم في صحيحه، واللفظ له، (ح: ١٨٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وغير الرسول في التصرف والأمر في ذلك اليوم العظيم بقوله: إن النبي ﷺ يقدر على إنقاذ أمته من العذاب في ذلك اليوم، وإنه يقدر على ما كان يقدر عليه في الدنيا، وإنه يتصرف في ذلك اليوم هو وغيره كما كانوا في الدنيا، فيعرض كلامه هذا على ما ذكرنا من كلام الله وكلام رسوله ليتبين الهدى لمن أراد الله هداه[1].

قال المعترض: وصاحب البردة يخبر أنه إن لم يكن النبي ﷺ في معادي آخذا بيدي وإلّا فقل يا زلة القدم.

---

(١) هذا رد من المصنف على قول المعترض في تشطيره البردة: ومنقذي من عذاب الله والألم - أن الرسول ينقذ الناس يوم القيامة من العذاب ومن ألم العذاب - رد عليه بالآيات، مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾، وبقول النبي ﷺ: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللهِ شَيْئًا**»(تـ١). بعد أن حض بالنذارة عمه وعمته وعامة أقاربه لما أنزل الله عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، فكل هذا رد على ما ادعاه هذا المعترض من أن الرسول يملك الإنقاذ يوم القيامة، ويُخرج من العذاب الأليم [...]. والنبي ﷺ قال: لا ألفين أحدكم يأتي والبعير على رقبته له رغاء فيقول: يا محمد، أغثني أغثني، فأقول له: قد بلغت، لا أملك لك من الله شيئا. هذا قول منقذ من عذاب الله والألم؟! ويقول: رجل على رقبته شاة، أي: يأخذها من الصدقة أو من الغنيمة، فيقول: أغثني أغثني، فأقول له: لا أملك لك من الله شيئا، قد بلغت(تـ٢).
كل هذا يدل على أنه لا ينقذ من عذاب الله الرسول ولا غيره [.....]، لكن لا يشفع إلّا بعد إذن الله له، وهو إن أذن الله له أن يشفع شفع حينئذ.

(تـ١) سبق تخريجه.

(تـ٢) ذكر الشيخ رحمه الله الحديث بما معناه، ونصه مذكور في المتن، وقد أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٣٠٧٣)، ومسلم في صحيحه، (ح: ١٨٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فيقال له: قول صاحب البردة وقولك ليس إخبارا، بل هو استغاثة، بل من أبلغ ألفاظ الاستغاثة، كقول الأبوين: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. وقول نوح: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]. وقول بني إسرائيل: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩]. أترى أن الأبوين وجميع المذكورين يخبرون الله بأنه إن لم يغفر لهم ويرحمهم فهم خاسرون وأن هذا منهم مجرد إخبار، بل كل أحد يعرف أن هؤلاء الذين أخبر الله عنهم بهذا الكلام يسألون الله ويرغبون إليه في أن يغفر لهم ويرحمهم، ومعترفون بأنه إن لم يغفر لهم ويرحمهم فهم خاسرون. وهذا الجاهل لا يفرق بين نوعي الكلام من الإنشاء والخبر.

فالكلام عند علماء البيان نوعان: خبر وإنشاء، فالخبر ما احتمل الصدق والكذب، أي: ما احتمل أن يكون قائله صادقا ويحتمل أن يكون كاذبا كقوله: جاء زيد وقدم عمرو، فهذا قول يحتمل أن يكون صدقا وأن يكون كذبا، فهذا تعريف الخبر، وما سواه يسمى إنشاء.

وأما قول صاحب البردة وقول المشطر:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك.................

إلى قولهما:

إن لم تكن في معادي آخذا بيدي ومنقذي من عذاب الله والألم

.... فضلا فقل يا زلة القدم

أي: وإن لم تأخذ بيدي وتنقذني من عذاب الله فقل يا زلة القدم، أي: فأنا خاسر أو هالك، فهو كقول الأبوين: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]. وقول نوح: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود:٤٧]. وقول بني إسرائيل: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩].

ثم أورد المعترض أشياء يستدل بها لقوله: ومنقذي من عذاب الله والألم.

وليس فيها ما يستأنس له به فضلا عن أن يكون حجة، وإنما أراد الإكثار من الكلام إيهاما للطغام.

وقد قدمنا جملة من شبهه حقيقتها نسبة المسبب إلى سببه، منها قوله: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥]. قال: مع أن القضاء من الله يعني أن القضاء في هذا الموضع هو فعل الرب - سبحانه - الذي بمعنى التقدير كما يقال: قضى الله كذا، أي: قدر كذا، وقد أخطأ في معنى هذه الكلمة، وإنما المراد بالقضاء في قوله: ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ القتل الذي هو فعل موسى، لا فعل الرب، يقول: فوكزه موسى فقضى عليه، أي: قتله. هذا هو المراد عند جميع المفسرين، تقول العرب: قضى فلان على فلان إذا قتله، ويقال قضى فلان أي مات.

وقوله ﷺ: «وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ»(م١). المراد تحذيرهم عن الأعمال التي توجب غضب الرب وتورد النار.

(م١) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٢٢٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله: إن الله نسب إخراج الكفار من النور إلى الظلمات إلى الطاغوت وهي الأصنام.

فأخطأ في قوله: إن المراد بالطاغوت هنا الأصنام. وأكثر المفسرين يقولون المراد بالطاغوت هنا: الشياطين، وقيل المراد: كعب ابن الأشرف وأشباهه من علماء اليهود، ولم نر من فسر الطاغوت هنا بالأصنام، ولهذا قال: ﴿يُخْرِجُونَهُم﴾ فأتى بضمير العقلاء.

فلو ذهبنا نتتبع خطأه وتخبيطه في نحو ذلك لطال الكلام.

وذكر قول الشاعر: منع البقاء تقلب الشمس. وقولهم: أنبت الربيع البقلَ.

ومن استدل بنحو ذلك على جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ وغيره من الأموات والغائبين بطلب الحاجات منهم، ثم طلب الإنقاذ من عذاب يوم القيامة وشدائده فقد أتى بما ينكره العامي السليم الفطرة، ولكن الهوي يعمي ويصم.

ونحن لا ننكر إضافة الأشياء إلى أسبابها، ولكن الله - سبحانه - هو خالق الأسباب والمسببات، ولا يلزم من ذلك أن نعتمد على الأسباب فضلا عن أن نسألها ونرغب إليها وهي مخلوق، بل يتعين على العباد أن يعتمدوا على خالق الأسباب ويرغبوا إليه ويستعينوا به ويعبدوه وحده ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥][(١)].

(١) لم أعثر على تعليق سماحته.

وقال شيخ الإسلام تقي الدين في أثناء كلام له: إن إثبات المخلوقات أسبابا لا يقدح في توحيد الربوبية، ولا يمنع أن يكون الله خالق كل شيء، ولا يوجب أن يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استعانة. انتهى(م١).

وهذا المبطل يقول: إذا كان الله قد جعل النبي سببا للإنقاذ من النار من أراد الله هدايته؛ جاز أن يطلب الإنقاذ من النار منه ﷺ، فطرد هذا الأصل الباطل أن يجوز ذلك في جميع الأسباب، وقد قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ [الروم:٤٨]. فيلزمه أن يجوز للناس أن يطلبوا من الريح أن تثير لهم سحابا ماطرا، وقال تعالى في حق نبيه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [إبراهيم:١]. والمراد بالظلمات ظلمات الجهل والكفر والشك إلى نور العلم والإيمان، فيجوز على أصل هذا أن يقال: يا رسول الله أخرجنا من الظلمات إلى النور، وهذا حقيقة هداية الصراط المستقيم فيقال: يا رسول الله، اهدنا الصراط المستقيم، وهذا لازم لهذا المبطل على أصله الباطل لا محيد له عنه، ولا أستبعد التزامه ذلك لجهله وعناده، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص:٥٦](١).

(١) معنى هذا: يقول المعترض: إن الله ﷻ ينقذ من العذاب بسبب الرسول ﷺ، فالرسول سبب لإنقاذك من العذاب الأليم؛ فإذا كان هو السبب فما المانع أن تطلب منه أن ينقذك يوم القيامة؟ =

(م١) يُنظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية: (٢/ ٢٢٦).

قوله: وقد ورد نسبة الإنقاذ إلى المعاني من الأعمال... إلى آخر كلامه.

هذا مما احتج به لقوله: ومنقذي من عذاب الله والألم، فانظر هذا القياس الفاسد وجعله هذا من باب أولى، وقياسه هذا أقبح من قياس الذين قالوا: إنما البيع مثل الربا، لو أنه ساوى بين الأمرين فكيف وهو يقول هذا من باب أولى!

فكذب على الله وعلى رسوله في زعمه إن ذوات المخلوقين تنقذ من عذاب الله كما تنقذ الأعمال الصالحة، بل هي أولى في زعمه.

= ما دام أنه هو السبب في إنقاذك في الدنيا بالاتباع لأوامر الله والانتهاء عن نواهيه، فكذلك ما المانع أن تطلب الإنقاذ منه يوم القيامة؟ وهذا الإنقاذ هو بسببه.

يقول الشيخ أبابطين: قولك هذا باطل، فكونه هو السبب مثلا هل تطلب من السبب نفسه؟! اطلب ممن أوجد السبب لا من نفس السبب، فالسبب لوجود السحاب هو الرياح، هذا هو الموجد للسحاب بإذن الله، وهو السبب لحصول السحاب، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾، فهل نقول: يا رياح اسقنا، يا رياح أنزل لنا مطرا؟! هي السبب، لكن هل نطلب السبب ونترك من أوجد السبب؟!

كذلك قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، لتخرج أنت يا محمد الناس من الظلمات إلى النور، أي: بهذا القرآن وبيانه للناس، ودعوة الناس إلى اتباعه، فهل نقول: يا رسول الله، أخرجنا من الظلمات إلى النور؟! فعلى رأي العراقي أن يكون الأمر كذلك.

وقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ فالسبب في معرفتنا للصراط هو الرسول، هو الذي بين لنا الصراط، وجاءنا بهذه الآيات من عند الله فهو السبب، فهل نقول: يا رسول الله، اهدنا الصراط المستقيم؛ لأنك أنت السبب؟!

ومراده طلب الإنقاذ من المخلوقين؛ لأنه أراد بذلك الاحتجاج لطلبه الإنقاذ من النبي ﷺ بقوله ومنقذي من عذاب الله والألم، وبقوله: إن الله أمر بطلب الحاجات من الأموات والغائبين، وهذا من الكذب على الله، وشرع دين لم يأذن به الله، حيث زعم أن الله يحب من عباده أن يطلبوا من غيره أن ينقذهم من عذابه، وأنه يحب من المؤمنين طلب الحاجات من الأموات والغائبين: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]. والله - سبحانه - جعل دخول الجنة والنجاة من النار معلقا على الأعمال الصالحة، لا على الالتجاء إلى المخلوقين والاستغاثة بهم والتوسل بذواتهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الصف:١٠-١٢] الآيتين. فعلق - سبحانه - النجاة من عذابه ومغفرة ذنوبهم ودخولهم الجنة والنصر على الأعداء على الإيمان بالله وبرسوله والجهاد في سبيله.

وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥]. وقال: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف:٢، ٣].

وقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر].

كما جعل - سبحانه - اتباع رسوله سببا لمحبته ومغفرة الذنوب والفلاح في الدنيا والآخرة، قال - سبحانه -: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهذا المفتري على الله الكذِب يزعم أن التقرب إلى الله بذوات المخلوقين أولى من التقرب إليه بالأعمال الصالحة وبإتباع رسوله ﷺ.

فيا سبحان الله!! كيف يروج تمويه هذا على من يسمع هذه الآيات ونحوها مما لا يحصى من آي القرآن، وعلى من يسمع قول الله - سبحانه - ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الإنفطار:١٩]. ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥]، ونحو هذه الآيات مع قول النبي ﷺ لابنته و عمه وعمته والمهاجرين والأنصار: «**لا أُغْني عَنْكُمْ مِنْ اللهِ شَيْئًا**»[م١]؟! ويؤكد ذلك بحلفه لابنته وعمته أنه لا يغني عنهم من الله شيئا.

وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن:٢١، ٢٢]. أي: لا أجد من ألتجىء إليه وأعتمد عليه، وصاحب البردة يقول: فإن لي ذمة منه بتسميتي محمدا، يعني: أنا في ذمته وجواره لموافقة اسمي اسمه، وهذا يقتضي أن كل من سمى محمدا فهو في ذمته ﷺ، وقوله في الهمزية: الأمان الأمان، أي: أسألك

(م١) سبق تخريجه.

الأمان، فأكده تأكيدا لفظيا، فهو يطلب من النبي ﷺ أن يؤمنه ويجيره من عذاب الله، وقد قال النبي ﷺ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»(م١). وكان أكثر دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»(م٢).

ومن دعائه ﷺ: «رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ أَوْ تَجْمَعُ عِبَادَكَ »(م٣).

وفي دعاء الخروج إلى الصلاة: «أَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»(م٤).

فالنبي ﷺ يسأل الله أن يقيه عذابه وعذاب النار، ويسأله أن ينقذه من النار، وهذا يطلب الإنقاذ من النبي ﷺ. ما أعظمه من ضلال!

وفي بعض أدعيته ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَمُنْجِيَاتِ أَمْرِكَ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ»(م٥).

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٥٦٧٣)، ومسلم في صحيحه، واللفظ له، (ح: ٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(م٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٦٣٨٩)، ومسلم في صحيحه، (ح: ٢٦٩٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(م٣) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٧٠٩) من حديث البراء رضي الله عنه.

(م٤) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ١١١٥٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه، (ح: ٢٩٢٠٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(م٥) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح:٤٨٩)، والحاكم في المستدرك، (ح: ٢٠٠٩) من حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

وقال للذي قال لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ: «**حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**»(م١).

ومن دعائه ﷺ: «**لاَ مَلْجَا وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ**»(م٢). «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ**»(م٣). فالتجأ إلى الله منه واستعاذ به منه. وصاحب البردة والمشطِّر التجيا إلى الرسول ﷺ من عذاب الله، وعاذا به منه، وقد قال النبي ﷺ للذي قال: اللهم إني أتوب إليك لا إلى محمد: «**عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ**»(م٤).

وزعم هذا المتخبط أن الشفاعة نوعان: أحدهما الأخذ باليد والإنقاذ.

والثاني معنى قولي أو شافعا لي باستغفاره. فالأولى: شفاعة فعلية بأن يخرجه من العذاب بعد وقوعه فيه. والثانية: شفاعة قولية بأن يحال بين المذنب وبين المؤاخذة. انتهى.

فانظر إلى هذا التقسيم الباطل، وهل يعقل الناس شفاعة إلّا بالكلام من الشافع؟ كما في حديث الشفاعة الطويل: «**فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ**

(م١) أخرجه أبو داود في سننه، (ح: ٧٩٢)، ونص الحديث: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ: «**كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: أَتَشَهَّدُ وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ أَمَا إِنِّـي لا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(م٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٦٣١٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(م٣) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(م٤) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ١٥٥٨٧)، والحاكم في المستدرك، (ح: ٧٧٣٥) من حديث الأسود بن سريع المنقري رضي الله عنه.

سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ يُقَالُ لِي ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ»[م١]. وذكر الثانية كذلك والثالثة والرابعة.

وكذلك شفاعة النبي ﷺ في إخراج ناس من النار يقال له: انطلق فأخرج من قلبه كذا من إيمان.

فالعجب من ترويج هذا المبطل! وهل يسمى الفعل المجرد عن القول شفاعة عند عالم أو جاهل؟! إنما الشفاعة بالكلام وقبولها بالفعل من الشافع فيما أذن له فيه، فإدخاله ﷺ الجنة من أمره الله بإدخاله وإخراجه من النار من أمره بإخراجه هذا حقيقة قبول الشفاعة، لا أن ذلك شفاعة أخرى.

وهل يوجد في حديث أنه ﷺ أدخل أحدا الجنة أو أخرج أحدا من النار بغير أمر الله؟ وهذا أمر واضح ما يحتاج إلى توضيح، لكن ربما يحصل بكلامه تشبيه على الجاهل.

فلو ذهبنا نتتبع ما في كلامه من الركاكة والتناقض والعيب لاحتمل مجلدا، من ذلك قوله على قوله في القصيدة: أو شافعا لي مما قد جنيت: فمراد إخباره عن نوع آخر من الشفاعة وهو كونه شافعا لي باستغفاره أو بدعائه لا بفعله، فيشفع لي شفاعة ثانية مما جنيت من الذنوب فلا يؤاخذني بها فلا أرى العذاب بالكلية أو يزيد في درجاتي.

ثم قال بعد ذلك: وقولي ثانيا أو شافعا لي مما قد جنيت غدا فهي شفاعة

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٦٥٦٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

أخرى غير شفاعة الإنقاذ بالاستغفار للذنب، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]. وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤]. فالأولى: شفاعة فعلية بأن ينقذه من العذاب بعد وقوعه فيه، والثانية: شفاعة قولية بأن يحال بين المذنب وبين المؤاخذة -قال- وهذا ظاهر. انتهى.

أقول: بل كله كلام باطل متناقض، من ذلك: كونه جعل قوله في خطابه للنبي ﷺ: ومنقذي من عذاب الله والألم أو شافعا لي؛ إخبارا، فهذا باطل بل هو استغاثة به ﷺ لا خبر، وقد قدمنا - عند قوله فيما تقدم: وصاحب البردة يخبر أنه إن لم يكن النبي ﷺ آخذا بيده وإلّا فقل يا زلة القدم - إيضاح ذلك، ولكن لو سلم أنه خبر مع استحالة كونه خبرا فهو إخبار منه للنبي ﷺ؛ لأن الخطاب معه فهو يخبر النبي ﷺ بأن يشفع له شفاعتين قولية وفعلية، فهو يخبر النبي بما لا يعلمه؛ لأنه لو كان يعلم ذلك لم يحتج إلى إخباره له بذلك.

وحقيقة كلامه إذا جعله خبرا أنه يقول: أنت يا رسول الله تشفع لي شفاعتين فعلية وقولية. فهل يوجد كلام أسمج من هذا الكلام؟! مع تضمنه الكذب على الله وعلى رسوله؟ وتزكية نفسه بحصول شفاعة النبي ﷺ له، فهو والحالة هذه شاهد لنفسه بأنه من أهل الجنة، وجعله الشفاعة الأولى بأن ينقذه النبي ﷺ من العذاب بعد وقوعه فيه، والشفاعة الثانية استغفار النبي ﷺ له ما أعجب هذا! هل في الآخرة توبة واستغفار؟! وإنما الواقع من الأنبياء وغيرهم الشفاعة، ولم يأت أهل الموقف إلى الأنبياء يقولون: استغفروا لنا، بل يقولون: اشفعوا لنا.

وأيضا إذا حصلت لهذا الشفاعة الفعلية بزعمه - وهي الإنقاذ من العذاب - فقد سلم من المؤاخذة بذنبه، فلا يحتاج أن يشفع له ثانيا بأن لا يؤاخذ بذنبه، ومن له أدنى نظر تبين له فساد كلامه وتناقضه في أكثر المواضع من تسويده هذا. والله الهادي إلى سواء السبيل[1].

---

(١) معنى هذا: هو أن صاحب الألفية التي استدل بها - ألفية العراقي - يقول في قصيدته: الأمان الأمان يا رسول الله، يطلب الأمان من النبي ﷺ؛ لأجل أن يؤمِّنه من العذاب. يقول: ومنقذي من عذاب الله والألم، ويزعم أن الرسول يُنقذ من العذاب، ويقول: إن الشفاعة نوعان: شفاعة فعلية وشفاعة معنوية.

فالشفاعة الفعلية: هو أن الرسول بفعله يُنقذ من النار، ويُخرج منها بفعله من كان مستحقا لها. والشفاعة المعنوية مثل: الاستغفار له والدعاء له، فرُدَّ هذا من وجهين:

الوجه الأول: وهو الجواب عن قوله: ومنقذي من عذاب الله، وقول: الأمان الأمان يا رسول الله. نقول: الرسول نفسه يدعو ربه أن يؤمِّنه، فضلًا أن يكون الرسول مؤمِّنا لغيره، وهو يقول في الدعاء: «**رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَجْمَعُ عِبَادَكَ**»[ت١]، وأيضًا يقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**»[ت٢]، إذا كان يُنقذ غيره من العذاب فما حسن أن يدعوه، بل يُنقذ نفسه ويعطي نفسه ما يريد وما يشاء، وأيضًا ها هو - صلوات الله وسلامه عليه - يقول بين السجدتين: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي**»[ت٣]. لو كان بيده شيء لم يحتج إلى أن يقول: اجبرني واغفر لي. =

(ت١) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٧٠٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(ت٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٦٣٨٩)، ومسلم في صحيحه، (ح: ٢٦٩٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(ت٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، (ح: ٨٩٨)، و أحمد في مسنده، (ح: ٣٥١٤) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

وها هو يوم أُحد أيضًا حصل على أصحابه ما حصل: قُتل مَن قتل، وفرَّ مَن فرَّ، وهو بنفسه كُسرت رباعيته، وشج رأسه فجعل يمسح الدم عن وجهه؛ فكيف مع هذا يقال أنه يُنقذ من عذاب الله، وأنه ينفع ويخرج الناس من النار، وهو يقول: **لا ألفين أحدكم يأتي وعلى رقبته البعير** -يعني: أخذها من الغنيمة غالًّا لها - يقول: يا محمد يا محمد، فيقول: **قد بلغت لا أملك لك شيئا، قد بلغت لا أملك لك شيئا**. وهذا يقول: الأمان الأمان يا رسول الله، ويقول: إنه يُنقذ من عذاب الله، وهو يقول: **لا أملك لك من الله شيئا!** (ت١).

ثانيا: قوله: الشفاعة الفعلية. وهل يوجد شيء يسمى شفاعة فعلية؟! فهل تشفع أنت، بمعنى: تذهب وتُخرج من السجن بقوة، هل هذه تسمى شفاعة؟!

الشفاعة إنما هي طلب من الشافع للمشفوع عنده لمن شفع له؛ كأن تطلب من هذا السيد أو هذا الكبير أن يعفو عن هذا المسكين أو السائل أو ما أشبه ذلك. لا أنك أنت الذي تشفع له؛ بمعنى: أنك أنت تغيثه! فالشفاعة لا تكون فعلية، إنما تكون قولية، فلا يمكن أن يقال شفاعة فعلية، فهل إن طلبك إنسان من مالك ألف ريال أو عشرة آلاف وأعطيته، فهل هذه شفاعة فعلية؟ عند مَن سمعت هذا؟! وهل يقول عاقل هذه شفاعة؟! إنما الشفاعة: الشفاعةُ عند آخر شفاعة معنوية قولية، تمهد لهذا المشفوع الطريق بأن يساعده أو يغيثه أو يرفع مظلمته أو ما أشبه ذلك، أما الفعلية فلا شفاعة فيها؛ مما يدل على خبط الرجل، وأنه لا يدري ما يقول، هذا هو حاصل بحث الشيخ.

(ت١) ذكر الشيخ رحمه الله الحديث بما معناه، ونصه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ...». الحديث، أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٣٠٧٣)، ومسلم في صحيحه، واللفظ له، (ح: ١٨٣١).

وذكر المعترض أني استدللت بقول الله - سبحانه -: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:١٩]، ولا أذكر ذلك ولا وجدته في المسودة عندي، ولا شك أن معنى الآية: أن من كتبه الله شقيا لا تنقذه مما هو فيه من الضلالة؛ لأن من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

هذا مع أني أقول: الاستدلال بعموم الآية على ما نحن فيه سائغ، وما زال العلماء يستدلون بآيات نزلت في أمور خاصة على ما يتناوله اللفظ بعمومه، والعبرة عند العلماء بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لا سيما والمستدل بهذه الآية عليه ثابت حكمه بنصوص آيات وأحاديث، كقوله - سبحانه -: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]، ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الإنفطار:١٩]، وكقوله ﷺ لسيدة نساء الأمة ولقرابته: «**أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**». وقوله للمهاجرين والأنصار: «**لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»(م١). ومعنى لا أملك لكم من الله شيئا: لا أملك لكم ضرا ولا نفعا، كما في رواية الترمذي للحديث.

قال البغدادي: وهذا الرجل ينكر نسبة الإنقاذ من النار بالفعل إلى رسول الله ﷺ ويذكر الأحاديث التي فيها نسبة الإنقاذ من النار إلى قريش، ولا يدري أنها رادة عليه مدَّعاه الذي يدعيه، إذ يقال: كيف نفى الله الإنقاذ عن نبيه ويثبته لأقاربه من قريش بقوله: «**أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ**»؟ فإنه نسب الإنقاذ من النار

(م١) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٣١٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لهم. فإن قلت: أراد أنكم تتسببون في إنقاذ أنفسكم بالإسلام. قلنا: وكذلك إطلاق كلامنا ككلامه، فإن مرادنا بقولنا: ومنقذي من عذاب الله والألم، أي: متسببا في إنقاذي أو منقذي بفعله. انتهى.

فانظر إلى هذا الكلام الباطل والقياس الفاسد، يقول: كيف ينفي الإنقاذ عن نبيه ويثبته لأقاربه من قريش؟ وقوله: وإطلاق كلامنا ككلامه.... الخ.

قلنا: أما الاتفاق في الحروف فنعم، وأما في المعنى فبين الكلامين من التباين ما لا نهاية له، فالعجب من هذا التلبيس الذي لا يخفى على العامي السليم الفطرة.

ويقال له أيضا: كذبت في قولك كلامنا ككلامه، فهو ﷺ يقول: أنقذوا أنفسكم من النار بطاعة الله ورسوله، فهذا السبب الذي أمرهم به ﷺ في دار العمل، وأنت تطلب الإنقاذ من النار من النبي ﷺ في دار الجزاء، فسببك الذي تعتمد عليه الشرك وهو الاستغاثة به ﷺ لينقذك من عذاب الله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾، والسبب الذي أمر به ﷺ التوحيد ولزوم طاعة الله ورسوله، فالسبب الذي أمر به ﷺ يوصل إلى رضى الله والجنة، والسبب الذي تدلي به يبعد عن الله غاية الإبعاد، وهل قال النبي ﷺ لابنته وعمه وعمته والمهاجرين والأنصار: أنا أنقذكم من عذاب الله، أو أتسبب في إنقاذكم فلا تخافوا؟ فلو كان له ﷺ شيء من هذا الأمر ذلك اليوم لكان هؤلاء أحق من غيرهم.

وقوله: كيف ينفي الإنقاذ عن نبيه ويثبته لقريش؟

قلنا: لم ننف الإنقاذ عنه ﷺ، بل هو الذي نفاه عن نفسه بقوله: «**لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»، «**لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»، فالإنقاذ الذي أمرهم به غير الإنقاذ الذي نفاه عن نفسه[1].

قال المعترض: وأما استدلاله بقوله - سبحانه - عن صاحب يس: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [يس:٢٣]. فإن هذا في الأصنام التي اتخذها الكفار آلهة وأربابا من دون الله. قال: فهل يستدل من له أدنى تمييز على عدم شفاعة النبي ﷺ وإنقاذه لأمته بمثل هذا الدليل الباطل الذي ساوى فيه الأصنام بسيد الأنام بعدما أخبر الله عنه بقوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾؟ [الضحى:٥]. قال: وظاهر كلام هذا الرجل إنكار الشفاعة بالكلية؛ لقوله: وهذا نص في أن من أراده الله بضر فلا منقذ له ولا شفيع، - قال- ومعلوم أن من استوجب العذاب من المسلمين أو دخل فيه وشفع فيه الأنبياء أو الملائكة أو المؤمنون لا شك أن الله أراده بضر ونفعه شفاعة الشافعين، فكيف يجوز لمسلم إنكار الشفاعة وهو يدعي أنه من أهل السنة والجماعة، ويستدل عليها بآية الأصنام المتخذة أربابا؟! انتهى.

قوله: إن هذه الآية - أعني آية يس - في الأصنام خاصة؛ فهو كاذب ضال في قوله هذا، بل الآية عامة في كل ما عبد من دون الله؛ لأن من أراده الله بضر لم يغن

(١) صوت الشريط المسجل غير واضح.

عنه معبوده شيئا، سواء كان معبوده ملكا أو نبيا أو غيرهما، فلا يكشف عنه ضرا أراده الله به ولا يجلب له نفعا، وأتى سبحانه في الآية بضمير العقلاء بالواو والميم فهي عامة في كل معبود من دون الله، سواء كان عاقلا أم جمادا، يوضح ذلك قوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ [الإسراء:٥٦]. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: هم الملائكة والمسيح وأمه وعزير[م١]. وقال ابن مسعود: نزلت في أناس يعبدون ناسا من الجن فأخبر سبحانه أن هؤلاء لا يملكون كشف الضر عمن عبدهم، ولا تحويلا من موضع إلى موضع[م٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الأنعام:١٧]. وهذا المعترض يقول هذه الآية - آية يس - فيمن عبد الأصنام، ومقتضى كلامه: أن من عبد غير الأصنام أن معبوده ينفعه بشفاعة وغيرها، ومن المعلوم بالسنة المتواترة وإجماع أهل السنة، بل الأمة أن من مات مشركا لا شفيع له، وأخبر سيد الشفعاء - صلوات الله وسلامه عليه - أن شفاعته لمن مات لا يشرك بالله شيئا، فمن عبد غير الله من ملك أو نبي أو صالح أو صنم أو غير ذلك فإنه لا يشفع فيه شافع ولا يدفع عنه دافع، قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]. وقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]. وقال ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦]. ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨]. وانظر إلى

(م١) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير: (١٧/ ٤٧١).

(م٢) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير: (١٧/ ٤٧٢).

إنكار هذا المعترض قولنا: إن من أراده الله بضر فلا منقذ له ولا شفيع كما هو نص الآية بقوله.

ظاهر كلام هذا الرجل: إنكار الشفاعة بالكلية؛ لقوله: وهذا نص في أن من أراده الله بضر فلا منقذ له ولا شفيع. فيا عجبا من جرأة هذا! وهل قلت من عند نفسي: إن من أراده الله بضر فلا شفيع له ولا منقذ، أو هذا قول الله ﷻ لا قول غيره؟! وزعم أن استدلالنا بالآية إنكار منا للشفاعة، وهو يعلم أننا لا ننكر الشفاعة الواقعة بإذن الله، وإنما ننكر الشفاعة الشركية التي يثبتها هو وأشباهه.

قوله: وهل يستدل من له أدنى عقل على عدم شفاعة النبي ﷺ وإنقاذه لأمته بمثل هذا الدليل الباطل؟

فوصف الخبيث كلام الله بالبطلان مما يبين جهل هذا وفجوره، فلو قال الاستدلال الباطل لكان أخف إثما؛ لأن وصف الدليل بالبطلان كفر صريح؛ لأن القرآن هو الدليل، قال الإمام أحمد: قواعد الإسلام أربع: دال، ودليل، ومبين، ومستدل، الدال الله، والدليل القرآن، والمبين الرسول، والمستدل أولو العلم، هذه قواعد الإسلام[م١]. والمقصود بذكر كلام الإمام أحمد: بيان أن الذي يوصف بالدليل هو القرآن، فقول المعترض مثل هذا الدليل الباطل وصف للقرآن بالبطلان.

وانظر قوله: ومعلوم أن من استوجب العذاب أو دخل فيه وشفع فيه

(م١) يُنظر: العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى: (١/ ١٣٥).

الملائكة والأنبياء وغيرهم لا شك أن الله أراده بضر ونفعه شفاعة الشافعين.

فصريح كلامه هذا تكذيب لصاحب يس - الذي صدقه الله فيه، ويشهد له من نصوص القرآن ما لا يحصى إلا بكلفة - في قوله: ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣]. فيقال لهذا المتخرص: إنما تكون الشفاعة لمن أراد الله رحمته، وإن كان قد عذبه قبل ذلك، فإذا أراد الله - سبحانه - رحمة إنسان قد استجوب العذاب أو قد دخل النار أخرجه منها برحمته، أو أذن لمن يشاء من عباده أن يشفع فيه كما في بعض أحاديث الشفاعة أن الله - سبحانه - إذا أراد رحمة من شاء ممن في النار أذن في الشفاعة فيه، وأما من أراد الله ضره في الآخرة أو في الدنيا فلا منقذ له ولا شفيع، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقوله: لا شك أن الله أراد بضر ونفعه شفاعة الشافعين.

فنقول: لا شك في بطلان هذا الكلام، بل هو كفر؛ لأن حقيقة كلامه هذا أن شفاعة الشافعين منعت من نفوذ إرادة الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا(١).

---

(١) محصل هذا البحث: هو أن الشيخ أبابطين كتب في الرد الأول مستدلا بهذه الآية: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾؛ يعني: أن غير الله لا ينقذ من عذاب الله. يقول العراقي: هذا الدليل باطل- ووصف القرآن أعوذ بالله بالبطلان -بمعنى: أنها نزلت في الأصنام، فهي التي لا تنفع ولا تضر، وإلّا فالله يريد إيقاع الضرر بشخص مثلًا ولا يقع، ينقذه الرسول بشفاعته؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾، فالرسول [.....]؛ هذا محصل قوله. ورد عليه الشيخ هنا: =

قال المعترض: وأما استدلاله بقول الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. فيقال: هذه نازلة في أناس مخصوصين من الكفار آذوا النبي ﷺ

= أولا: هذه الآية ليست خاصة بالأصنام، بل كل من عبد الملائكة أو عبد المخلوق أو عبد أي مخلوق كان؛ فإنه جعله شريكا مع الله، فليست خاصة، فلا يجوز عبادة غير الله لا من الأصنام ولا غيرها، وأيضا أما إذا أراد بأحد ضررًا فالشفاعة لا تنفعه، لا يمكن للرب أن يقبل شفاعة أي شافع فيمن أراد الله الضرر به، وإنما الله يقبل شفاعة الشافع إذا أذن الله للشافع أن يشفع، فالله لا يأذن للشافع أن يشفع إلا لمن رضي الله قوله وعمله من أهل التوحيد،

وفرق بين هذا وذاك، هذا هو حاصل رد الشيخ على العراقي. وأما العراقي يقول: إن الله يريد هذا بما [.....]، ولكن الرسول يمكن أن ينقذه وإن كان أراده الله بضرر. أما هذه الآية: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾، لا شك في أن الشفاعة لا تنفع إن أراد الله الضرر. يقول العراقي: لا، بل الرسول ينقذ من أراد الله ضرره بشفاعته، والآية هذه نزلت فيمن يعبد الأصنام، ممن أراد الله ضرره، وهؤلاء يعبدون الأصنام فلا تنفعهم، وإنما لو طُلب من محمد الشفاعة وسأل محمد الشفاعة فهو يستطيع أن ينقذه بشفاعته ممن أراد الله ضرره، هذا قول العراقي.

فيقول الشيخ: لا محمد ﷺ ولا غيره، من أراد الله ضرره لا يمكن أن أحدا ينفعه.

أما الشفاعة فنحن لا ننكرها، لكن الشافع لا يشفع إلّا بعد إذن الله له، والله لا يأذن للشافع أن يشفع حتى يكون المشفوع له من أهل التوحيد ممن رضي الله قوله وعمله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، ثم أتى العراقي فقال: إن هذا الدليل باطل. يقول: لو قلت الاستدلال باطل لكان أولى من أن تقول الدليل باطل؛ لأن الأصول أربعة: دال وهو الله، والدليل وهو القرآن، والمبين هو الرسول، والمستدل هم أولو العلم. فلو قلت: الاستدلال باطل لكان أليق من أن تقول: إن الدليل باطل؛ لأن هذا يلزم منه أن دليل القرآن باطل، والله أعلم.

فدعا عليهم بالهلاك، وكان علم الله فيهم من يؤمن فقال: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ فهذه الآية في أناس مخصوصين، ونحن كلامنا في نفع النبي ﷺ أمته بالشفاعة، فقد أخبره الله بقوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥]، وأنزل له جبريل بقول: «**إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ**»(م١). ولم يقل هنا ليس لك من الأمر شيء. انتهى.

يزعم المعترض أن قوله سبحانه: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ في أناس مخصوصين، ونحن كلامنا في نفع النبي ﷺ أمته بالشفاعة وقد أخبره بقوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾، ولم يقل هنا ليس لك من الأمر شيء.

فيقال وهل في قوله سبحانه: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ معارضة لقوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ فالأمر كله له وحده، ووعد نبيه أنه سيرضيه، وقوله: إن الآية في أناس مخصوصين، مراده أن حكمها لا يتعداهم، ليس مراده أنهم سبب النزول، فهو يقول: إن غير هؤلاء المخصوصين للنبي من أمرهم شيء، فيكون شريكا لله في أمر غير هؤلاء المخصوصين، ولهذا احتج بقوله سبحانه: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ قال: ولم يقل هنا ليس لك من الأمر شيء.

فجعل قوله - سبحانه -: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ معارضا لقوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾؛ لأنه عارض هذه الآية بتلك الآية، وضرب كلام الله

(م١) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٢٠٢) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

ورسوله بعضه ببعض، مع أنه ليس بين الآيتين ما يوهم التعارض، فالذي له الأمر كله وعد نبيه أن يعطيه فيرضى، وإنما مراده بإيراد الآية التلبيس والإيهام للجهال، والله - سبحانه - لم يقل ليس لك من أمر هؤلاء المخصوصين شيء، وإنما قال: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾، والألف واللام تفيد العموم عند الأصوليين، وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [الروم: ٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ [الرعد: ٣١].

قال ابن كثير على قوله سبحانه: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ بعد الكلام على أول الآية قال: ثم اعترض بجملة دالة على أن الحكم في الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له فقال: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ بل الأمر كله لي كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾، وقال: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾، قال محمد بن إسحاق: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾، أي: ليس لك شيء من الحكم في عبادي إلّا ما أمرتك به فيهم. انتهى[م١].

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أورد ابن جرير عند تفسير هذه الآية حديثا مرفوعا إلى النبي ﷺ قال: "ومَنْ زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئًا فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه؛ لقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾"[م٢].

فله - سبحانه - الأمر كله، وله الملك كله، والحمد كله، وإليه يرجع الأمر

(م١) **يُنظر**: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٢/ ٩٩).

(م٢) **يُنظر**: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير: (١٢/ ٤٨٤).

كله، فالأمر كله له - سبحانه - في الدنيا والآخرة، وإنما خص يوم القيامة في نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]؛ لتفرده - سبحانه - في ذلك اليوم بالتصرف والحكم والتدبير، فليس لأحد معه في ذلك اليوم تصرف ولا تدبير ولا أمر ولا نهي، بخلاف الحال في الدنيا فإن الله - سبحانه - ملَّك أهلها ما خولهم فيها، فهم يتصرفون فيما أعطاهم بحسب اختيارهم مع كون الملك والأمر في الحقيقة لله وحده في الدنيا والآخرة، وقد قال الله - سبحانه - لنبيه لما قال في شأن عمه أبي طالب: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»(م١)، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣]. وقال في شأن المنافقين: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة ٨٠]. وقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة ٨٤](١).

---

(١) حاصل هذا البحث: هو أن المعترض يقول لمن استدل عليه بأن الرسول لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، وأن الأمور كلها بيد الله، ومن جملة الأدلة الدالة على تفرد الأمر لله وحده قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾. قال المعترض العراقي: إن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ مخصوص في أناس معينين آذوا النبي ﷺ، وقد علم الله في نفس الأمر أن منهم من يؤمن ويسلم بدليل قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾، فيقال للمعترض أخطأت. العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، هذه ناحية. الناحية الثانية: قلت إنها خاصة نزلت في أناس معينين، يعني: بطل مفعول الآية، وما دلت عليه إذن باطل؛ لفوات أو موت هؤلاء الذين خصتهم هذه الآية، وهذا لم يكن فيه مشكل بالكلية، بل الآية حكمها باقٍ إلى يوم القيامة. =

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ١٣٦٠) من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه.

قال المعترض: وأما استدلاله بقوله لقرابته وبضعته: «**لا أُغْني عَنْكُمْ مِنْ اللهِ شَيْئًا**»(م١)، معناه: إذا لم تؤمنوا بالله ورسوله لا أغني عنكم من الله شيئا؛ بدليل قوله: «**أَنقِذُوا أَنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ**»(م٢)، يعني: بالإسلام، - قال- وفي بعض روايات الصحيحين أنه ﷺ دعا قريشا فاجتمعوا وقال: «يا بني كعب، أنقذوا أنفسكم من النار - إلى أن قال - فإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله». انتهى.

هذه الجملة من قوله: «لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن

= فقوله: نزلت في أناس خاصة معينين، يعني: ذهب معناها ومدلولها بذهاب هؤلاء الخاصة المعينين، وهذا خطأ.

أولا: الآية تدل على أن الأمر كله بيد الله، وأن الرسول لا يملك لأحد نفعًا ولا ضرًا، وأن قوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ واضح في ذلك، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأنه لا معارضة بين هذه الآية وبين

قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾؛ فإن الله يعطيه ما يرضيه، وليس فيه ما يدل على أنه يرضى بأن يُدعى مع الله، وأنه يُسأل من دون الله، فإنه لا يرضى شيئا من هذا، بل أنكر على من قال له: ما شاء الله وشئت. قال: «**أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا**»(ت١).

هذا يريد التمويه على العامة، والتلبيس على [......] الناس، الذين لا يعرفون معنى الآية ولا ما دلت عليه.

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٢٧٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(م٢) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٢٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(ت١) سبق تخريجه.

تقولوا لا إله إلا الله». كل هذه الجملة التي عزاها للصحيحين كذب وافتراء منه، ليس في الصحيحين منها حرف واحد، ما أجرأ هذا على الكذب على الله ورسوله وعلى العلماء، ثم المعارضة لكلام الله وكلام رسوله في مواضع من أوراقه هذه، ثم العجب ممن تلقى ذلك كله بالقبول ولم يفطنوا لشيء من فضائحه! فيا أسفى من غلبة الجهل، واستيلاء الهوى، وعمى التقليد على أكثر النفوس! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم كيف يقول: «إلا أن تقولوا لا إله إلا الله»، وهو يقول لابنته وعمته والمهاجرين والأنصار: «**لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»(م١) «**لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»(م٢)؟ أليس هؤلاء هم أهل لا إله إلا الله، الذين هم أحق بها وأهلها؟ قال الله تعالى في حقهم: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦]، وقد قال تعالى في حق نبيه ﷺ: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٨٨]، أي: لا أملك لنفسي جلب نفع ولا دفع ضر إلّا ما شاء الله ربي من النفع لي ودفع الضر عني: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]. ومن المعلوم يقينا أن من أراد الله به سوءا من أهل التوحيد أن النبي ﷺ وغيره لا يملكون دفعه عنه، كحال أهل الكبائر من أهل لا إله إلا الله الذين يعذبون في النار حتى تدركهم رحمة أرحم الراحمين، فيأذن في الشفاعة فيهم لمن أراد إكرامه بها.

ثم انظر إلى قول هذا المفتري إن قوله ﷺ لابنته وقرابته لا أغني عنكم من الله شيئا إذا لم تؤمنوا بالله ورسوله، ما أجرأ هذا على الافتراء على الرسول! وما

(م١) سبق تخريجه.

(م٢) سبق تخريجه.

أقل حياءه من ارتكاب ما فيه فضيحته! أو ليست ابنته ﷺ سيدة نساء هذه الأمة أو سيدة نساء المؤمنين؟! ثبت ذلك في الصحيحين.(م١) أو ليس المهاجرون والأنصار الذين قال لهم النبي ﷺ «**لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»(م٢) سادات الأمة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه؟! وهذا يقول: المعنى لا أملك لكم من الله شيئا إذا لم تؤمنوا بالله ورسوله، وأيضا فقوله: إذا لم تؤمنوا بالله ورسوله استدراك منه على الرسول ﷺ، فهو ﷺ قال: «**لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»(م٣) فأطلق ولم يقيد بشرط الإيمان بالله ورسوله، ومفهوم الشرط الذي زاده هذا بقوله: إذا لم تؤمنوا بالله ورسوله؛ أنه يملك لهم من الله شيئا إذا آمنوا بالله ورسوله، وهذا منه رد على النبي ﷺ، النبي يقول لسادات المؤمنين: «**لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»، وهذا يقول بل يملك من الله شيئا لمن آمن به(١).

---

(١) معنى هذا: يقول الشيخ أبا بطين: إن المعترض استدل علينا زاعما أن البخاري ومسلما رويا حديث أن النبي ﷺ لما خص بالنذارة بضعته، أي: بنته وقرابته وكذلك قريش؛ فإنه قال: «يا بني كعب، أنقذوا أنفسكم من النار - إلى أن قال - فإني لا أملك لكم من الله شيئا حتى تؤمنوا»، وأن المعنى: حتى تؤمنوا بالله ورسوله، وأنه قال: «يا فاطمة بنت محمد، وكذلك يا صفية، ويا عباس بن عبد المطلب، آمنوا بالله ورسوله؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئا». وأنه جاء في الصحيح رواية أن الرسول قال: «لا أملك لكم من الدنيا نفعا ولا في الآخرة إلا أن تقولوا لا إله إلا الله». =

(م١) ونصه: قال ﷺ «يَا فَاطِمَةُ، أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ». أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٦٢٨٥)، ومسلم في صحيحه، (ح: ٢٤٥٠).

(م٢) سبق تخريجه.

(م٣) سبق تخريجه.

ثم قال المعترض: وكيف لا يغني عن بضعته وقرابته شيئا، وقد أنزل الله عليه في حقهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؟! [الأحزاب: ٣٣]. قال: وكيف لا يغني عنهم شيئا وهو لما أنزلت عليه هذه الآية جمعهم وجللهم بكسائه وقال: «**اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي، أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا**»(م١)؟! هل هذا إلّا إغناء وفائدة لهم؟ بل هو يغني عن كل من آمن به. انتهى.

فانظر قوله: كيف لا يغني عن بضعته وقرابته شيئا؟! فهذا منه استفهام إنكار، فهو ينكر على النبي ﷺ في قوله: لا أغني عنكم من الله شيئا، ويكرر

= يقول أبا بطين: في هذه كذبت على البخاري ومسلم؛ لم يخرجا هذه الأحاديث، أين يقولون: لا إله إلا الله؟ العباس وفاطمة وصفيه كلهم يقولون لا إله إلا الله، تريد أنه ينفع ويضر في الآخرة إذا قالوا لا إله إلا الله، وهو يقول: «**لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»(ت١). سواء قالوا لا إله إلا الله أو لم يقولوها، وهم يؤمنون بالله ورسوله، ويقولون لا إله إلا الله، ولكنه يأمرهم بإفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وهو يوجه قلوبهم إلى الله ﷻ ، فكيف [....] إلى أن يقولوا لا إله إلا الله مخاطبا بذلك ابنته التي هي سيدة نساء العالمين، هذا مما لا يمكن، وإنما الرجل كذب [.....](ت٢).

(م١) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٣٨٧١) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(ت١) سبق تخريجه.

(ت٢) لم يتم الوقوف على بقية التعليق.

الخبيث هذه الكلمة مرتين. النبي ﷺ يقول: «**لا أُغْني عَنْكُمْ مِنْ اللهِ شَيْئًا**»(م١)، وهذا يقول: كيف لا يغني عنهم من الله شيئا؟! فهل يستريب من له أدنى نظر أن كلامه هذا رد على الرسول وإنكار عليه؟ بل العامي البليد يفهم هذا، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور. وهل في قول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وفي دعائه ﷺ لهم معارضة لقوله: «**لا أُغْني عَنْكُمْ مِنْ اللهِ شَيْئًا**»، ولقول الله سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]؟ وإنما مقصود هذا بتكثير الإيرادات التي لا شبهة له فيها: الترويجُ على الجهال وكثرة التسويد في القرطاس، مثل كلامه في الشفاعة وذكر بعض ما ورد فيها مع علمه أننا لا ننكر ما ورد في الشفاعة من الأحاديث عنه ﷺ.

وانظر قوله: فهل هذا إلا إغناء وفائدة لهم؟

فنقول: كل خير دنيوي وأخروي حصل لأمته عامة ولأهل بيته خاصة من ربهم فعلى يديه - صلوات الله وسلامه عليه -، وهل في هذا معارضة لقوله: «**لا أُغْني عَنْكُمْ مِنْ اللهِ شَيْئًا**»، ولقول الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]؟

قال المعترض: بقي أن يقال: قوله يا أكرم الخلق، فإن هذا عندهم دعاء وهو النداء، ولا وجه للتكفير به؛ لأن النداء إذا كان ضارا وهو دعاء - كما

(م١) سبق تخريجه.

يزعمون - لزم ألّا ينادي أحدٌ لا حي ولا ميت؛ لأن كون الشيء الواحد بالنسبة للحي يكون طاعة وللميت والغائب يكون عبادة، لم يعهد هذا شرعا ولا عرفا، وإنما الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا وإلها، وهذا لا يقصده أجهل المسلمين فضلا عن أكابر العلماء، والدليل على أن النداء والطلب من الأموات والغائبين ليس بعبادة، بل هو مأمور به شرعا؛ آيات وأحاديث وآثار وأقوال العلماء الكبار من الأئمة الأربعة الأخيار.. هذا لفظه.

قوله: فإن هذا عندهم دعاء وهو النداء، - يقول- هم يسمونه دعاء وليس كما يزعمون، وإنما هو نداء لا دعاء، - يقول - لو كان دعاء كما يزعمون لزم ألا ينادي أحد لا حي ولا ميت، وهذا الرجل حين واجهني ادعى ذلك، فقال: الطلب من الأموات والغائبين لا يسمى دعاء بل هو نداء، وبينت له بعض الأدلة وأذعن ظاهرا في هذه المسألة وغيرها، وظننت أن مراده قطع الكلام لا الموافقة.

فيقال لهذا: تفريقك بين الدعاء والنداء تفريق باطل مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة مع مخالفته اللغة، فقد سمى الله - سبحانه - سؤال عباده له دعاء ونداء، قال تعالى عن نوح: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴾ [القمر: ١٠]. وقال: ﴿ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنبياء: ٧٦]. فسماه في موضع دعاء وفي موضع نداء. وقال عن زكريا: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴾ [مريم: ٣]. وقال في موضع: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ ﴾ [آل عمران: ٣٨]. وقال عن أيوب: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء ٨٣]. وقال:

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧]. وقال ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ»(م١). وقال بعض الصحابة للنبي ﷺ: «أَقَرِيبٌ رَبُّنَا فَنُنَاجِيهِ، أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيهِ؟ فأنزل الله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ [البقرة:١٨٦]»(م٢). وقد سمى الله - سبحانه - طلب المخلوق من المخلوق واستغاثته به دعاءً واستغاثة ونداء. قال سبحانه: ﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص: ١٥]. وقال الصحابة: «قُومُوا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ»(م٣).

وقال تعالى: ﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ ﴾ [فاطر: ١٤]. فهذه نص في دعاء المسألة وقال: ﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ ﴾. وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٤]. قوله: فادعوهم، أي: اطلبوا منهم. وقال: ﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٣]،

(م١) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٣٥٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.
(م٢) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة: (٢/ ٥٣٥) من حديث الصلت بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه.
(م٣) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ٢٢٧٠٦) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

فأراد بالدعاء هنا الطلب الذي هو ضد الصمت.

وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، أي: استغيثوا بشركائكم. وقال: ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ [القصص: ٦٤]، أي: استعينوا بهم ليخلصوكم من عذابي: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ [القصص: ٦٤]. ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ليخلصوكم مما أنتم فيه: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ فقال في موضع: ادعوا وفي موضع نادوا. وقوله: فادعوهم صريح في الطلب منهم. وقال: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، أي: استعينوا بهم. وقال: ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٣٨]، أي: استعينوا بهم. فسمى - سبحانه - استعانتهم بهم دعاء، بل سمى الله نعيق الراعي بالبهائم دعاء ونداء، فقا ل: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة:١٧١].

فجميع ما قدمنا صريح في أن سؤال العبد ربه يسمى دعاء ونداء، وأن استغاثة المخلوق بالمخلوق وطلبه منه يسمى دعاء ونداء.

وقد قال النحويون: النداء هو الدعاء بأحرف مخصوصة، وأن المنادى منصوب لفظا أو محلا بفعل محذوف، فقولك يا زيد، أي: أدعو زيدا[م١]. ومن أقسام المنادى المستغاث، وهو كل من نودي ليخلص من شدة أو يعين على

(م١) **يُنظر**: شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو للوقاد: (٢/ ٢٠٥).

دفع مشقة، كقول عمر رضي الله عنه: يا لله للمسلمين، أي: أدعوك للمسلمين(م١).

فاتضح بطلان قول هذا في أن طلب المخلوق من المخلوق لا يسمى دعاء بل نداء، فهو يقول: إن الطلب من الملائكة والمسيح وأمه وعزير والجن نداء لا دعاء، فما أدري ما يقول فيمن طلب من العزى ومناة واللات! فإن قال: إن الطلب منها لا يسمى دعاء، بل هو نداء، وأن النداء لا يضر عنده افتضح عند العامة والخاصة، وإن قال: إنه يسمى دعاء. قيل له: نقضت أصلك، حيث جعلت الطلب من هذه الأوثان دعاء ومن غيرها نداء، فهذا شيء واحد جعلته بالنسبة إلى الأموات والغائبين والملائكة والمسيح وأمه وعزير والجن نداء، وبالنسبة إلى العزى وغيرها من الأوثان دعاء مع أنه يلزمه ألّا يسميه دعاء إذا لم يسم مدعوه ربا وإلها؛ لقوله: إن الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا وإلها.

إذا تبين بطلان قول هذا؛ فالدعاء يكون أيضا أعم من النداء؛ لأنه قد يكون بغير حرف نداء كقول نوح: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [هود:٤٧]. وقول بني اسرائيل: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٩]. وقول السائل: أشكوا إلى الله حاجتي أو ذنوبي، وأسأل الله كذا أو أعوذ به من كذا، وكل هذا يسمى دعاء، وسمى النبي ﷺ قول ذي النون: ﴿أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]

(م١) يُنظر: الكتاب لسيبويه: (٢/ ٢٣١).

دعوة كما تقدم في الحديث، وفي الترمذي: «**خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(م١). وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب يقول: «**لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**»(م٢) فسمى هذا دعاء مع أنه ليس فيه تصريح بالسؤال[1].

قال شيخ الإسلام تقي الدين رحمه الله في الكلام على دعوة ذي النون قال: "فالسائل تارة يسأله بصيغة الطلب، وتارة بصيغة الخبر، إما بوصف حاله أو حال المسؤول أو بهما، وهو من حسن الأدب في السؤال، كقول أيوب: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء]، والسؤال بالحال أبلغ من جهة العلم والبيان، وبالطلب أظهر من جهة القصد والإرادة؛ فلهذا كان غالب الدعاء من القسم الثاني؛ لأن السائل يتصور مراده فيسأله بالمطابقة؛ فإن تضمن وصف حال السائل والمسؤول فهو أكمل كقوله: «**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ**

---

(١) معنى هذا كله قد تقدم، وهو مسألة الدعاء والنداء وما يترتب على ذلك.

(م١) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٣٥٨٥) من حديث طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه.
(م٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٦٣٤٥)، ومسلم في صحيحه، واللفظ له، (ح: ٢٧٣٠).

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»[1]، فيه وصف لحال نفسه المقتضي حاجته إلى المغفرة، ووصف ربه أنه لا يقدر على هذا غيره، وفيه تصريح بالمطلوب، وفيه وصف الرب بما يقتضي الإجابة؛ وهو وصفه بالمغفرة والرحمة؛ فهذا ونحوه أكمل الأنواع" انتهى[م1]. قال ابن كثير: "وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه كما قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾، وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسؤول كقول ذي النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤول كقول الشاعر:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حباؤك إن شيمتك الحباء
إذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضه الثناء[م2]

وقول المعترض: إن الشيء الواحد يكون بالنسبة إلى الحي طاعة وللميت أو الغائب عبادة؛ لم يعهد هذا شرعا ولا عرفا.

يقال لهذا: وهل يوجد شيء واحد يختلف اسمه باختلاف متعلقه، وهو قولك: إن سؤال الميت والغائب لا يسمى دعاء بل نداء، وسؤال العبد ربه يسمى دعاء، ليس معك على هذا إلا مجرد دعوى باطلة قد بينا بطلانها وافتضاحها.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٨٣٤)، ومسلم في صحيحه، (ح: ٢٧٠٥) من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٨٣٤)، من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.
(م٢) يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (١/ ٥٠-٥١).

وقوله فيما بعد: بل على قولكم إن الطلب نفسه عبادة يقتضي ألا فرق بين الحياة والممات؛ لأن العبادة ممنوعة في الحالين. انتهى

قوله: يكون بالنسبة للحي طاعة: جعل سؤال الحي طاعة وهو كاذب في جعله طاعة؛ لأن الله - سبحانه - لم يأمر مخلوقا قط أن يسأل مخلوقا، بل قد تواترت الأحاديث عنه ﷺ في ذم السؤال، وبايع ﷺ جماعة من الصحابة ألا يسألوا الناس شيئا، وفي حديث ابن عباس: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»(م١)، أي: إذا سألت فاسأل الله وحده، وإذا استعنت فاستعن بالله وحده، وترك سؤال الناس من كمال التوحيد، وهذا المفتري يقول: إن الله يقول سلوا عبادي خصوصا الأموات والغائبين واستعينوا بهم، ومسألة الناس قد تكون محرمة، وتكون مكروهة، وتكون جائزة، وتسميتها طاعة خطأ وضلال، وكذا قوله ولا عرفا خطأ؛ لأن العرف لا مدخل له في العبادات.

وأما قوله: إذا جاز سؤال الحي فالميت كذلك، أي: يجوز سؤاله، بل هو يقول إنه طاعة، لأن الله - في زعمه - أمر به. ويقول إذا قلتم إن الطلب عبادة يقتضي ألا فرق بين الحياة والممات وهذه شبهة ربما تدخل في نفوس كثير من الناس.

فيقال أولا: ذو الفطرة السليمة وإن كان جاهلا يفرق بين الطلب من الحي الحاضر مما في يده وبين الطلب من الميت والغائب، ولا يسوي بين الحي

(م١) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٢٥١٦).

والميت إلّا من اجتالته الشياطين عن الفطرة التي فطره الله عليها، أو إنسان أعماه الهوى والتقليد، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر:٢٢]، معنى ذلك: أنه لا يستوي المؤمن والكافر كما لا يستوي الحي والميت، شبه المسلم بالحي والميت بالكافر، فلما كان معلوما من المخاطبين أن الحي والميت لا يستويان يقول - سبحانه - فكذلك المؤمن والكافر، فمن سوى بين الحي والميت بقوله يطلب من الميت ما يطلب من الحي فقد سوى بين ما فرق الله والناس بينهما، حتى المجانين يفرقون بين الحي والميت، فلو قصد مجنون بيت إنسان ليطعمه فوجده ميتا وأهله عنده لعدل إلى الطلب من أهله الأحياء الحاضرين عنده ولم يلتفت إلى الميت.

ومما يوضح بطلان هذه الشبهة: أن الله - سبحانه - أمر عباده بالاستعاذة به كما في المعوذتين ومواضع من القرآن معلومة، وكذلك في السنة عن النبي ﷺ من ذلك كثير، وفعل العبد ما أمره به ربه أمر إيجاب أو استحباب عبادة له بإجماع العلماء، فإذا امتثل العبد أمر ربه فاستعاذ به أو بصفاته فقد عبده، والاستعاذة نوع من الدعاء؛ لأن المستعيذ يلتجئ إلى الله ليدفع عنه ما يحذر وصوله إليه مما يكره أو ليرفع ما قد وصل إليه من ذلك، كما في الحديث: «**أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ، وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ**»(م١)؛ وهذا حقيقة الدعاء.

فلما كان مستقرا عند العلماء أن الاستعاذة بالله عبادة له قالوا: لا تجوز

(م١) أخرجه ابن ماجه في سننه، (ح: ٣٥٢٢) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

الاستعاذة بمخلوق، فلما كان هذا الأصل مستقرا عندهم استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأنه ثبت عن النبي ﷺ الاستعاذة بكلمات الله التامات فعلا منه وقولا، وهذا من حجة أهل السنة على الجهمية القائلين بخلق القرآن - يقولون - لو كان القرآن مخلوقا امتنعت الاستعاذة به، فعلى ما ذكرنا أن الاستعاذة نوع من الدعاء كما قرره شيخ الإسلام تقي الدين، وهو واضح، فالعلماء القائلون بامتناع الاستعاذة بالمخلوق يقولون: لا يجوز دعاء المخلوق؛ لأن الاستعاذة دعاء حقيقة؛ لأن المستعيذ بربه يطلب منه دفع مكروه أو رفعه، وهذا حقيقة الدعاء.

قال شيخ الإسلام تقي الدين رحمه الله: فالاستعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها نوع من الدعاء، وهي ألفاظ متقاربة(م١). وسمى النبي ﷺ الاستعاذة دعاء، كما في السنن أن رجلا قال: يا رسول، الله علمني دعاء أدعو به، قال قل: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي**»(م٢).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يدعو فيقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ**»(م٣)، وفي السنن عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ الْغِنَى**

(م١) **يُنظر**: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/ ٢٢٧).

(م٢) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٣٤٩٢) من حديث سهل بن حميد رضي الله عنه.

(م٣) أخرجه أبوداود في سننه، (ح: ١٥٤٧).

وَالْفَقْرِ»(م١)، وفي صحيح مسلم: كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**»(م٢).

والمقصود من إيراد هذه الأحاديث بيان أن الاستعاذة تسمى دعاء في كلام النبي ﷺ وأصحابه.

فلما قال العلماء: إن الاستعاذة لا تجوز بمخلوق، بل هي مختصة بالله - سبحانه -؛ لأنها دعاء، فهكذا سائر أنواع الدعاء، إذا تقرر هذا: فمن المعلوم بالضرورة: أنه لو خاف إنسان من عدو له فالتجأ إلى حي حاضر ليجيره من عدوه لم يكن بهذا بأس عند جميع المسلمين، وليس بداخل تحت قول العلماء إن الاستعاذة لا تجوز بمخلوق، فهذا شيء واحد اختلف حكمه باختلاف متعلقه، فبالنسبة للحي الحاضر جائز وبالنسبة لغيره ممتنع، فكذلك دعاء غير الله بطلب قضاء الحاجات لا يجوز لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]. ولا يدخل في هذا النهي طلب الإنسان حاجة من حي حاضر مما يدخل تحت قدرة البشر.

ويقال أيضا لهذا المساوي بين الحي والميت: لو أعطى إنسان آخر مالا، وقال أودعه عند ثقة، فذهب به الوكيل وأودعه عند قبر رجل صالح كالشيخ عبد القادر، وقال: هذا وديعة عندك لفلان واستحفظه إياه، فضاع لعده الناس مجنونا

(م١) أخرجه أبوداود، في سننه، (ح: ١٥٤٣).

(م٢) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٢٧٣٩) من عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

جنونا لا يرفع التكليف وألزموه بالضمان، ويلزم هذا الذي ساوى بين الحي والميت أن يقول: هو مصيب فيما فعله ولا ضمان عليه، وربما أنه لا يلتزم هذا خوفا من الفضيحة عند الناس، وحينئذ يقول له الوكيل في الإيداع: أنا ما فرطت على مذهبك في التسوية بين الحي والميت؛ لأنك تقول ما جاز طلبه من الحي جاز طلبه من الميت، وأنا طلبت من الشيخ عبد القادر حفظ هذه الوديعة وهي حاجتي عنده، وأنت تجوز طلب الحاجات من الأموات فكيف تخطئني؟[1].

ومما يوضح بطلان شبهته: ما لو خرج شخصان من بيتهما وقصد أحدهما رجلا حيا غنيا وقال: أشكو إليك الجوع، وقصد الآخر هبل وقال: يا هبل، أشكو إليك الجوع، هل يستوي الشخصان عند جاهل فضلا عن العالم؟! فهذا شيء واحد يختلف حكمه باختلاف النسبة، فبالنسبة إلى هبل شرك، وبالنسبة إلى الرجل الحي الحاضر الغني جائز، لا يتوقف في هذا عاقل، وعلى مذهب هذا الضال في قوله: إن الطلب من المخلوق لا يسمى دعاء، بل نداء، فلا يضر عنده نداء الطالب من هبل ونحوه؛ لأنه يقول: إنما الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا وإلها، فصريح كلامه أنه لو استغاث بالعزى أو مناة أو اللات ونحوها أن ذلك لا يضر؛ لأنه ليس بعبادة عنده ما لم يسم من دعاه أو استغاث به ربا وإلها.

ومن الفرق بين الحي والميت: أن الاستغاثة بالحي إنما تكون في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو ونحو ذلك، بحسب

---

(١) لم أعثر على تعليق سماحته.

الأسباب الظاهرة بالفعل، وأما الميت فحركته منقطعة، وإنما يزعم الذين يدعونهم أن نفعهم بالقوة والتأثير الذي يسميه بعضهم السر، ولا يشك عاقل في انقطاع الحركة من الميت المعهودة من الحي.

فإن قيل: هذه الأوثان المعروفة للمشركين جماد: كاللات ومناة والعزى والمقبور إنسان، فما الجامع بينهما؟

قلنا: نصوص القرآن في النهي عن دعوة غير الله عامة في كل من دعا من دون الله ما لا يضر ولا ينفع، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]. وقال: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨]. وقال: ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ٧١]. وقال: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف:٥]. قال البيضاوي على هذه الآية: "هذا إنكار أن يكون أحد أضل من المشركين؛ حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير إلى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم، فضلا عن أن يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم وهم عن دعائهم غافلون؛ لأنهم إما جمادات وإما عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم"[م١]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

(م١) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: (٥/ ١١١).

والذم إنما توجه إلى من دعا من هذه صفته سواء كان بشرا أو ملكا أو صنما وهو من لا ينفع من دعاه ولا يضر من لم يدعه، ومن دعا من لا يسمع دعاءه أو ولو سمعه ما استجاب له لاستحالة الإجابة منه، وهذه صفة الميت. وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٧]. وهذه أيضا صفة الميت، ومن المعلوم أن المشركين يعبدون الملائكة والمسيح وأمه وعزيرا والجن، ويعبدون اللات -وهو رجل صالح في قول ابن عباس ومجاهد-، ويعبدون الأصنام المصورة في زعمهم على صورة من يقصدونه، كفعل قوم نوح في تصويرهم على صور الذين ذكرهم الله في سورة نوح. قال تعالى فيمن يعبد الملائكة: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ [سبأ:٤٠]. وقال: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ [الزخرف:١٩]. إلى أن قال: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ﴾ [الزخرف:٢٠]. فهذا صريح في أنهم يعبدون الملائكة، وما قاله الصحابة والتابعون في سورة بني إسرائيل، والمراد بذلك بيان بطلان ما لو قال جاهل: إنهم إنما يعبدون الأصنام فقط.

وقال ابن القيم بعد كلام سبق: "ومن ها هنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصناما زعموا أنها على صورتها، فوضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب، فجعلوا الصنم على صورته وشكله وهيأته؛ ليكون نائبا منابه وقائما مقامه، وإلا فمن المعلوم أن عاقلا لا ينحت خشبة أو حجرا بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده، ومن أسباب عبادتها أيضا: أن الشياطين تدخل فيها

وتخاطبهم منها، وتخبرهم ببعض المغيبات، وتدلهم على بعض ما يخفى عليهم وهم لا يشاهدون الشياطين" انتهى.(١) (م١)

(١) حاصل هذا البحث هو أن العراقي يقول: إن دعاء الأموات ما هو بدعاء، هذا أول شيء، إنما هو نداء، فإذا قلت: يا رسول الله، اشفع لي، يا عبد القادر، هذا ليس بدعاء، هذا نداء، هذا ناحية.
الناحية الثانية يقول: ما دمتم تجوزون نداء الحي الحاضر فليزمكم أن تجوزوا نداء الميت، فكما نقول لك: يا صالح، أعطنا كذا، يقول: ما معنى أن لا نقول: يا فلان يا عبد القادر أعطنا كذا، يقول: ما هناك فارق بين الأمرين، هذا ليس بدعاء، إنما هو نداء. فسواء ناديت الحي الحاضر أو ناديت الميت في قبره قائلا: يا فلان أغثني، يا فلان اشفع لي، كما لو قلت: يا فلان أغثني. تقول له أنت: هذا خطأ.
أولا: تقرر أن النداء دعاء، الله ﷻ عبر عن النداء بأنه دعاء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣]، ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الأنبياء:٨٧].
ألم يكن هذا دعاء؟ ثم النداء مستلزم لأمرين: لحالة المنادي والمنادى، فالمنادي جاء في قوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٣]. يبين حالته وضعفه، ثم أثنى على المنادى على المسئول: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣]. هذا من آيات النداء.
يقول: كما تستغيث بالمخلوق الحي فكذلك الميت لا فرق.
يقول المصنف هنا: لو أن رجلين أحدهما مثلا ذهب إلى هذا الحي الحاضر قال له: أغثني من هذا الشر بـ[...] منك، والآخر راح لهُبل قال: أغثني يا هبل - صنم [...]-، ألم يكن هذا شرك، وذاك جائز؟ لأن ذاك قادر ينفعه، وهذا شرك يدعو صنما. فمن سوّى بينهما يكون مجنونًا، كما لو جاءك مثلا بالبندقية يقول لك: أغثني من هذا الذئب، مثل لو راح إلى قبر فقال: أغثني من هذا الذئب يا قبر، أنت تستطيع الآن تساعده، والميت ماذا يعمل؟! فكيف يساوي بين هذين الأمرين، هذا حاصل البحث.

(م١) يُنظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم: (٢/ ٢٢٤).

والمقصود بيان أن عباد الأصنام إنما قصدوا عبادة من صوروا الصنم على صورته من ملك أو نبي أو صالح أو كوكب، فكل ما في القرآن من النهي عن دعاء غير الله والإنكار على من دعا غيره يتناول كل معبود للمشركين من نبي وملك وبشر حي أو ميت أو صنم، يوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الإسراء:٥٦]، أي: ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم إن صحت دعواكم، فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا، أي: لا يملكون كشف الضر بالكلية ولا تحويله من موضع إلى غيره ولا تغيير صفته. وقد قال المفسرون من الصحابة والتابعين: إن هذه الآية نزلت فيمن يعبد الملائكة وعيسى وأمه وعزيرًا، وفيمن يعبد الجن(م١)، وهؤلاء غائبون أحياء وفيهم من هو ميت، فكل من دعا ميتا أو غائبا تناولته الآية. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦].

وأما الطلب من الحي الحاضر مما يدخل تحت قدرة البشر فليس مرادًا بالنهي ولا يمنع منه، قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥]. وقال: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال:٧٢]. وقال الصحابة: «**قُومُوا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ**»(م٢). وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾، فمن ساوى بين الأحياء والأموات في ذلك

(م١) **يُنظر**: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: (٧/ ٢٣٣٥).

(م٢) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ٢٢٧٠٦) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

بقوله: ما جاز طلبه من الحي جاز طلبه من الميت، فقد جمع بين ما فرق الله بينه وضل ضلالا بعيدا.

ويقال لهذا المساوي بين الأحياء والأموات: من المعلوم أن أهل الدنيا يستقضون حوائجهم بعضهم من بعض برهم وفاجرهم مسلمهم وكافرهم، وقد استعار النبي ﷺ أدراعًا من صفوان بن أمية وهو مشرك، واستعان في بعض غزواته بأناس من المشركين، وما زال المسلمون يستقضون حوائجهم من المسلم والذمي والبر والفاجر، فيلزم المساوي بين الأحياء والأموات أن يساوي بين أموات المذكورين كما كانوا في الدنيا كذلك.

فإن قال: طلب الحاجات مختص بموتى الصالحين فلا يجوز طلبها من موتى الكفار والفساق.

قيل له: نقضت أصلك، حيث فرقت بين أحياء هؤلاء وأمواتهم.

فإن قال: موتى الصالحين أحياء في قبورهم كما زعم، فهو كاذب في ذلك، لم يرد في ذلك حديث إلا ما أخبر الله عن حياة الشهداء، مع أن حياتهم لا تدرك بالحس ولا بالعقل فالله - سبحانه - أعلم بحقيقتها، وأما سوى الشهداء غير الأنبياء فلم يأت خبر عن الرسول أنهم أحياء في قبورهم، وإنما هو افتراء وكذب من هذا الضال.

فإن قال: إن صالحي الأموات ينعمون في البرزخ.

قيل له: وضدهم يعذبون فيدركون العذاب كما يدرك الصالح النعيم،

وهذا إدراك وإحساس لا يعلم حقيقته إلا الله.

والحاصل أن من سوى بين الحي والميت في استقضاء الحوائج فقد ضل في عقله ودينه، ونصوص القرآن كثيرة في إبطال هذا القول. والله - سبحانه - جعل أهل الدنيا فيها وخولهم ما ملكهم فيها، ولا يتم أمرهم إلا بمعاونة بعضهم بعضا، ولم يحجر عليهم - سبحانه - التعاون والتناصر فيما لا يسخطه، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

يوضح ذلك أن دعاء الإنسان للمسلمين واستغفاره لهم وقضاء حوائجهم ومعاونتهم عليها من الأعمال الصالحة المرغب فيها، فلو كان هذا يحصل من الميت لم يكن عمله قد انقطع. وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: **«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»**(م١). فدل على هذه الأشياء التي يطلبها المشركون من الأموات: من قضاء حوائجهم أو الدعاء لهم ونحو ذلك - التي هي أعمال صالحة من الحي - قد استحال وجودها من الميت، فطلبها منه طلب مستحيل؛ لعجزه حسا، فلا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فهو داخل تحت قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥]. ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس:١٠٦].

(م١) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والنبي ﷺ فرق بين الحي والميت في الحديث المتقدم آنفًا، كما فرق الله بينهما في مثل قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر:٢٢]، وجميع العقلاء بل مجانين كما قدمنا يفرقون بين الحي والميت، فالميت لا يستجيب لداعيه ولا يسمع دعاءه، ولو فرض سماعه فهو عاجز لا ينفع من دعاه كداعي الجمادات قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]. فالمتصف بعدم سماع الدعاء وعدم الاستجابة أو المتصف بأحدهما ممتنع دعاءه شرعًا وعقلًا تتناوله هذه الآيات ونحوها من آي القرآن[(١)].

---

(١) معنى هذا يقول العراقي: أن دعاء الميت لا مانع منه كما كان يدعى وهو حي، فأنتم تقولون طلب الحوائج من الحي لا بأس به، فيقول: كذلك نقول ما دمتم تقولون بأن طلب الحوائج والاستنصار بالحي فيما يقدر جائز فما المانع منه بعد وفاته؟ إذ إنه حي في قبره فلا مانع، فرقتم بين متماثلين هذا ناحية. تقول له أنت: قولك هذا باطل من وجهين: أولا: الله ﷻ فرق بين الحي والميت في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢].

فكيف تساوي الحي بالميت، الحي حاضر يسمع يستطيع أن يساعد، وأما الميت ما عنده شيء هذه ناحية.

فمساواتك الحي بالميت غلط، بل مناقضة لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر:٢٢]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣-١٤]. =

فإن قيل: وردت الآثار بسماع الميت.

قلنا: لم تدل على أنه يسمع كل كلام.

قال شيخ الإسلام تقي الدين رحمه الله: وردت الآثار بأن الميت يسمع لكن لا تدل على أنه يسمع كل كلام، قال ابن عبد البر: صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا مِن عَبدٍ يَمُرُّ عَلَى قَبرِ رَجُلٍ يَعرِفُهُ فِي الدُّنيا فَيُسَلِّمُ عَلَيهِ إلاَّ عَرَفَهُ ورَدَّ عَلَيهِ السَّلامُ**»(م١).

فهذا وغيره يدل على أن روح الميت ليست دائما في قبره، وأن لها اتصالا به لا يعلم حقيقته إلا الله، واعتبر هذا بسرعة نزول الملك وروح النائم وشعاع الشمس ونحوه.

= الناحية الثانية: تقول له: ما دمت تقول أن الميت مثل الحي يطلب ويسأل كما يطلب ويسأل الحي، فهذا الرسول طلب من المشرك صفوان بن أمية شيئا من الحوائج، استعار منه الأدراع يوم حنين وهو كافر، إذن: اطلب الكافر يعمل، اطلبه واسأله كما كنت تسأله وهو حي! الناس يحتاجون إلى الكافر، يأخذون منه حاجةً أو يطلبون منه المساعدة وإما يأخذون قرضًا، وهذا الرسول اشترى من يهودي، واليهودي دعاه إلى شيء من الطعام، وأيضا استعان بصفوان بن أمية وهو مشرك بأن أخذ منه أدراع يوم حنين، إذن: قل له: ما هناك فرق بين الصالح والكافر [....] كما كنا نأخذ من الكافر في حال حياته.
لا يستطيع أن يقول بهذا؛ لأنه يخصص هذا بالصالح أو الولي أو الملك أو المقرب أو النبي.

(م١) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية، (ح: ١٥٢٣). ومعجم الشيوخ، (ح:٣٢٦) لابن جُميع الصيداوي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد أخبر النبي ﷺ عن صفة حياة الشهداء بما في صحيح مسلم عن ابن مسعود لما سئل عن ذلك فقال: إنا سألنا عن ذلك فقال: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ**» الحديث(م١). ففسر حياتهم بذلك.

وثبت في الحديث الذي رواه مالك في الموطأ عن كعب بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَرْجِعَهُ اللهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ**». ورواه الترمذي وصححه(م٢). فهذا يدل على أن روح المؤمن في الجنة، وتدل الآثار على أن لها اتصالا به في القبر لا يعلم حقيقته إلا الله، قوله: «**يَعْلَقُ**» روي بفتح اللام وضمها، والمعنى واحد: وهو الأكل والرعي، يقول: يأكل من ثمار الجنة ويرعى ويسرح بين أشجارها.

وسيأتي لذلك زيادة بيان إن شاء الله. وإنما المقصود هنا بيان بطلان قوله في تسويته بين الحي والميت، وتجويزه الطلب من الميت ما يطلب من الحي، وأن ذلك لا يسمى دعاء، - قال- وإنما الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا وإلها.

وقد بينا فيما تقدم بطلان قوله إن ذلك لا يسمى دعاء، وأما كونه يسمى عبادة فقد تقدم ما يدل على ذلك، وسيأتي له زيادة إيضاح إن شاء الله تعالى.

(م١) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ١٨٨٧) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(م٢) أخرجه مالك في الموطأ، واللفظ له، (ح: ٤٩)، والترمذي في جامعه، (ح: ١٦٤١).

ومما يوضح ذلك: معرفة حد العبادة في الشرع وأنها كل ما أمر الله به ورسوله أمر إيجاب أو استحباب فهو عبادة.

وبعض العلماء يقول: العبادة هي الطاعة. فيتناول فعل المأمور وترك المحظور، ومما أمر الله به - سبحانه - دعاؤه وسؤاله، قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥]. إلى قوله: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف:٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ﴾ [النساء:٣٢]. وقال: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [العنكبوت:١٧]، أي: لا عند غيره؛ لأن تقديم المعمول يفيد الاختصاص عند البيانيين، وفي حديث نزول الرب إلى السماء الدنيا: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»(م١). وفي السنة من ذلك ما لا يحصى.

فإذا امتثل العبد أمر ربه فدعاه مخلصا صار ذلك عبادة منه لربه، فإذا دعا غيره فقد عبد ذلك الغير. وفي السنن عن النبي ﷺ: «**الدُّعاءُ هو العِبادةُ**»(م٢). وفي

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ١١٤٥)، ومسلم في صحيحه، (ح: ٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(م٢) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٢٩٦٩)، وأبو داود في سننه، (ح: ١٤٧٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

الحديث الآخر: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ**»(م١). فسمى النبي ﷺ الدعاء عبادة، فالدعاء في نفسه عبادة فكل مدعو معبود، وما أدري ما يقول هذا الرجل في دعاء العبد ربه واستغاثته به هل هو عبادة أم لا؟

فإن قال: ليس بعبادة فهذا مكابرة يعرفه كل عاقل، ومخالفة للكتاب والسنة وإجماع الأمة، وإن أقر أنه عبادة من العبد لربه، قيل له: هل تجد شيئا واحدا يكون بالنسبة إلى الله عبادة، وغير عبادة بالنسبة إلى غيره؟ فيظهر حينئذ بطلان شبهته التي اعتمدها في قوله إنه لا يوجد شرعا ولا عرفا.

وهذا الرجل لما قرر أن الطلب من الأموات والغائبين والاستغاثة بهم جائز، بل يقول: هو قربة كما يأتي في احتجاجه بالآية. ثم قال: وإنما الدعاء الذي هو عبادة؛ فهو اتخاذ غير الله ربا وإلها، فحصر الدعاء الذي هو عبادة في تسمية المدعو ربا وإلها؛ لأنه يقول: إن مجرد الطلب لا يضر مقتضى إطلاقه، وإن كان المطلوب منه صنما أو شجرا أو حجرا، وإن طلب منه مغفرة الذنوب وهداية القلوب وإنزال الغيث وشفاء المرضى، فإن هذا لا يضر عنده إذ لم يسمه أو يعتقده ربا وإلها.

وهذا الرجل لما اجتمع بي قبل تسويده هذا بنحو ثمان سنين ومعه ورقة نقل فيها عبارات لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يشبِّه بها على بعض الناس، فأحضرته وبحثته، وإذا هو في هذا الأصل العظيم جاهل جهلا مركبا ومعاند، وإحدى العلتين في المرء تهلكه.

(م١) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقلت له: أخبرني ما حقيقة هذا الشرك الذي لا يغفر، وصاحبه مخلد في النار؟

فقال: الشرك: السجود لغير الله لا غير. فأوردت عليه بعض الأدلة؛ فبهت، وأحب قطع الكلام بالموافقة ظاهرًا، وكتبت على ورقته التي معه أوراقا سماها بعض الطلبة بالانتصار، وما زال من ذلك الوقت يدأب ويبحث في تحصيل ما جمعه في هذه الأوراق التي اطلعنا عليها(١).

وقوله: إن أجهل المسلمين لا يسمي غير الله ربا وإلها ولا يقصد ذلك فيقال: التسمية لا حكم لها، ولا تتغير حقيقة الشيء بتغير الاسم كما جاء عنه ﷺ: **«لا تَذْهَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ حَتَّى تَشْرَبَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»**(م١). وكذا من سمى الزنا نكاحا، فالتسمية لا تزيل الاسم ولا الحكم، ومن عامل معاملة ربوية فهو مرابي وإن لم يسمه ربا، فكذا من ارتكب شيئا من الأمور الشركية فهو مشرك وإن سمى ذلك توسلا وتشفعا ونحوه.

والشيطان لما علم أن النفوس تنفر من تسمية ما يفعله المشركون تألها أخرجه في قالب آخر تقبله النفوس، ومما يفضح هذا في قوله: إن طلب المخلوق من المخلوق لا يسمى دعاء بل هو نداء، وإنما الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا وإلها.

---

(١) لم أعثر على تعليق سماحته.

(م١) أخرجه ابن ماجه في سننه، (ح: ٣٣٨٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

فعلى قوله أن من نادى إبليس وطلب منه قضاء حاجاته وكشف كرباته مع كونه لا يسميه ربا ولا إلها، بل يقول أنا أبغضه ولكن أطلب منه حوائجي وأستنصر به على عدوي؛ لأنه يقوى على ما لا يقوى عليه البشر، ولا يضرني ذلك على مذهب الشيخ داود؛ لأني لا أسمي الشيطان ربا ولا إلها ولا أعتقد ذلك فيه فعلى مذهبه الباطل أن هذا جائز.

يحقق ذلك أن كل أحد يعترف بأن عبادة غير الله شرك، وقد قدمنا تعريف العبادة. فمن جعل نوعا من أنواع العبادة لغير الله؛ فقد أشرك، وإن كان لا يظنه شركا ولا تألها وسماها بأي اسم شاء. فالمشرك مشرك شاء أم أبى، كما أن المرابي مراب شاء أم أبى.

يوضح ذلك: أن من أطاع مخلوقا في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فقد اتخذه ربا وإلها من دون الله، قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]. وروى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما: أن عدي بن حاتم قدم على النبي ﷺ، وكان قد تنصر في الجاهلية، فسمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، فقال للنبي ﷺ إنهم لم يعبدوهم، فقال: «**أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا**

لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»(م١).

وقال ابن عباس وحذيفة بن اليمان في تفسير هذه الآية: «إنهم اتبعوهم فيما حللوا»(م٢). وقال الربيع بن أنس: قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل؟ قال: كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا، فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء، فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم. فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم(م٣). وقال أبو البحتري: أما إنهم لم يصلوا لهم، ولو أمروهم أن يعبدوهم ما أطاعوهم، ولكن أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله فأطاعوهم، فكانت تلك الربوبية. انتهى(م٤).

فهؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية لم يسموا أحبارهم ورهبانهم أربابا ولا آلهة، ولا كانوا يظنون أن فعلهم هذا معهم عبادة لهم، ولهذا قال عدي: إنهم لم يعبدوهم، وحكم الشيء تابع لحقيقته لا لاسمه ولا لاعتقاد فاعله، فهؤلاء كانوا يعتقدون أن طاعتهم لهم في ذلك ليس بعبادة لهم، فلم يكن ذلك عذرا لهم ولا مزيلا لاسم فعلهم ولا لحقيقته وحكمه.

(م١) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٣٠٩٥) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، ولم أقف عليه عند الإمام أحمد.

(م٢) **يُنظر**: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٤/ ١١٩).

(م٣) **يُنظر**: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير: (١٤/ ٢١٢).

(م٤) **يُنظر**: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي: (٥/ ٣٤).

فكذلك ما يفعله عباد القبور في سؤالهم من المقبورين قضاء الحاجات وتفريج الكربات والتقرب إليهم بالنذور والذبائح عبادة منهم للمقبورين، وإن كانوا لا يسمونه ولا يظنونه عبادة(١).

ويوضح ذلك أيضا: ما روى الترمذي وصححه عن أبي واقد الليثي، أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»(م١). فهؤلاء لقرب عهدهم بالكفر ما كانوا يظنون أن الذي طلبوه من التأله لغير الله؛ لأنهم يقولون لا إله إلا الله ويعرفون معناها، وخفي عليهم أن ذلك الذي طلبوه مما

---

(١) معنى هذا: هو أن الشيخ يرد على العراقي الذي يقول: أن دعاء الأموات والغائبين ليس هذا بدعاء، إنما هذا نداء، فإذا قلت: يا رسول الله أو يا أحمد البدوي، هذا ليس بدعاء ولا بأس به عنده، فأنتم لم تفرقوا بين الدعاء والنداء. هذا قول العراقي.
الشيخ يرد عليه فيقول: العبرة بالحقائق، فالشرك شرك مهما سميتَ توسل أو نداء، كما أن الربا ربا ولو سميته أيضا بالقروض الشرعية، ما دام أنه ربا فهو ربا في الحقيقة، فها أنت تقول: إنه نداء. لو قلت: يا إبليس، أعنِّي أعنِّي ماذا تقول؟ هل تقول: هذا نداء ليس بعبادة، يعني: يلزمك أن تجوز أن تنادي إبليس بأن يساعدك ويفرج كرباتك، وتستغيث به؛ لأنه في نظرك هذا ليس بعبادة، وإنما هو نداء فإذن ناد إبليس، هذا محصل بحثه.

(م١) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٢١٨٠) من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه.

تنفيه لا إله إلّا الله، فلم يكن ظنهم مغيرا لحقيقة هذا الأمر وحكمه.

ومن له معرفة بما بعث الله به رسوله علم أن ما يفعل عند القبور من دعاء أصحابها والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم أعظم وأكبر من فعل الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وأقبح من الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

قال ابن القيم رحمه الله: "فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عليها اتخاذ إله مع الله مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه والدعاء عنده؟ فأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون؟!"(م١) وقد قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٠].

روى ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت اليهود والنصارى من أهل نجران عند النبي ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام، أتريد يا محمد منا أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس: أو تريد منا ذلك يا محمد؟

(م١) يُنظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم: (١/ ٢٠٥).

فقال رسول الله ﷺ: «معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني»(م١)، فأنزل الله في ذلك قوله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٠].

فبين ﷻ أن من عبد الملائكة والنبيين فقد اتخذهم أربابا من دون الله، وأنه يكفر بذلك وإن لم يعتقده ربوبية أولم يسمه ربا، وأن من أمر بعبادتهم فقد أمر باتخاذهم أربابا من دون الله، فكيف بمن هو دونهم؟! وهذا الذي يقول: إن الله أمر عباده المؤمنين أن يطلبوا حوائجهم من الأموات والغائبين! ويقول بجواز الذبح والنذر لهم، وغير ذلك من أنواع العبادات غير السجود لهم؛ لأنه حين كلمته قال: إن الممنوع منه السجود للميت فقط. فحقيقة قوله: إن الله - سبحانه - أمر عباده أن يتخذوا أهل القبور أربابا من دون الله، وإن من تبرأ من ذلك؛ فهو حقيقة دعواه.

قوله: والدليل على أن النداء والطلب من الأموات والغائبين ليس بعبادة، بل هو مأمور به شرعا آيات وأحاديث وآثار، قال: الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥].

فالعجب من هذا الملحد لم يقتصر على الجواز، بل ادعى أن الله أمر

(م١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان: (٦/ ٥٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم: (١١/ ٢١٧) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

عباده المؤمنين بذلك، ولعله يرى أن الأمر فيما فهمه من الآية للوجوب؛ لأن الأصل في الأمر الوجوب ما لم يوجد دليل يصرفه إلى الاستحباب، وبكل حال فهو يقول: إن الله أمر عباده المؤمنين أن يفزعوا إلى الأموات في قضاء مآربهم وكشف شدائدهم، سواء قال إن الأمر للإيجاب أو للاستحباب، ومقتضى كلامه العموم في جميع الأموات صالحهم وطالحهم! ما أجرأ هذا على الكذب على الله والإلحاد في آيات الله بوضعها على غير ما أراد الله!

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ [فصلت:٤٠].
قال ابن عباس: ﴿يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ يضعون الكلام على غير موضعه[م١].

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام:١٤٤]. فعلى قول هذا: إن الله يحب من عباده أن يطلبوا حوائجهم من الأموات والغائبين، وأنه ينبغي الإكثار من ذلك والإلحاح في الطلب منهم؛ لأن الله يحب الملحين في الدعاء، ويقتضي أيضا أن يستكثر الإنسان من المدعوين المطلوبين، ويعلق قلبه ورجاءه بالكثير منهم، بحيث يقول: لو لم يجبني بعض أجابني آخرون، فيصير الاستكثار أوثق عنده وأحب إلى الله في زعم هذا الضال، فيا سبحان الله! أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟!

وظاهر كلامه في إطلاقه: أنه يطلب من الأموات والغائبين كل شيء.

(م١) **يُنظر**: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٧/ ١٨٣).

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "من جوز أن يطلب من المخلوق كل ما يطلب من الخالق من كشف الشدائد؛ فكفره شر من كفر عباد الأصنام؛ فإنهم لا يطلبون منها كل ما يطلب من الله كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١].

فبين سبحانه أنه إذا جاء عذاب الله أو أتت الساعة لا يطلبون إلا الله في كشف الشدائد وجلب الفوائد. وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧]. قال وقد وقع في كثير من ذلك من وقع من العامة وغيرهم" انتهى(م١). وافتراء هذا الرجل على الله أعظم من افتراء الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف:٢٨]. نزلت هذه الآية في الذين يطوفون بالبيت عراة، اتبعوا في ذلك آباءهم، ويزعمون أنه مستند إلى أمر الله، فقال – تعالى – مكذبا لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨]. وهذا يقول: إن الله أمر بدعاء الأموات والغائبين ووجدنا الناس على هذا غيركم.

وهذا الأمر الذي ادعى أن الله أمر به، مما بعث الله الرسل من أولهم إلى

(م١) يُنظر: مسائل لخصها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من كلام بن تيمية لمحمد بن عبدالوهاب: (١٢/ ٩٤).

آخرهم ينهون عنه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]. والآيات في هذا كثيرة معلومة.

والدعاء من أجل العبادات كما في الحديث المرفوع: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ**»(م١). قالوا: معناه خالص العبادة؛ لأن الداعي إنما يدعو عند انقطاع أمله مما سوى الله، وهذا حقيقة التوحيد والإخلاص.

وفي الحديث الآخر: «**الدُّعاءُ هو العِبادةُ**»(م٢). وفي الحديث الآخر: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ**»(م٣). وفي حديث آخر: «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»(م٤). وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»(م٥). فذكر أولا لفظ الدعاء ثم السؤال ثم الاستغفار، والمستغفر سائل كما أن السائل داع. فعطف السؤال والاستغفار على الدعاء من عطف الخاص على العام الذي يتناولهما وغيرهما

(م١) سبق تخريجه.

(م٢) سبق تخريجه.

(م٣) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول، (ح: ٩٤٩)، والشهاب القضاعي في مسنده، (ح: ١٠٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(م٤) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٣٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(م٥) سبق تخريجه.

قاله شيخ الإسلام تقي الدين - رحمه الله تعالى -[م١].

والله - سبحانه - أمر بدعائه في كتابه في مواضع، والنبي ﷺ كان يكثر من دعاء الله واستغفاره، وأمر بذلك في أحاديث كثيرة. وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، قال ابن عباس: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ على طاعتك وعلى أمورنا كلها[م٢].

وقال قتادة: يأمركم ربكم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أموركم كلها[م٣]. وتقديم المعمول في الكلمتين يفيد الحصر والاختصاص عند البيانيين، وجميع المفسرين والقاري لما ذكر الحقيق بالحمد وصفه بصفات عظام يتميز بها عن سائر المخلوقين. وتعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، خوطب الموصوف بتلك الصفات فقيل: إياك يا من هذه صفاته نعبد، وإياك نستعين لا غيرك.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: وسر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين، وعليهما مدار العبودية والتوحيد، حتى قيل أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب، جمع معانيها في التوراة والإنجيل والقرآن، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن، وجمع معاني القرآن في

(م١) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١٠/ ٢٣٩).
(م٢) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير: (١/ ١٥٧-١٦١).
(م٣) يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (١/ ٤٩).

المفصل، وجمع معاني المفصل في الفاتحة، وجمع معاني الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده نصفين فنصفها له وهو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾، ونصفها للعبد وهو: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ انتهى[م١]. فالله - سبحانه - فرض على العباد أن يعبدوه وحده، وأن يستعينوا به وحده، وهذا الملحد المفتري على الله الكذب يقول: إن الله يأمركم أن تستعينوا بالأموات والغائبين، وترغبوا إليهم في مهماتكم! ما أعظم هذه المحادة لله، وقد قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ [الشرح:٨]، أي: ارغب إليه لا إلى غيره، وقال النبي ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[م٢].

وقد قررنا فيما تقدم تعريف العبادة، وأن كل ما أمر الله به ورسوله أمر إيجاب أو استحباب فهو عبادة، فإذا دعوت الله فقد عبدته، فإذا دعوت غيره من ميت أو غائب أو حجر أو شجر فقد عبدت ذلك الغير، فإذا سجدت لله فقد عبدته، فإذا سجدت لغيره صرت عابدا لذلك الغير، فإذا ذبحت لله فقد عبدته، فإذا ذبحت لغيره صرت عابدا له، وهكذا سائر العبادات، هذا مع أن نصوص القرآن في النهي عن دعاء غير الله وذم من فعل ذلك والإنكار عليه أكثر من النهي عن خاصية السجود لغيره كما هو معلوم عند الخاصية والعامة.

قال شيخ الإسلام تقي الدين رحمه الله في الكلام على دعوة ذي النون: لفظ

(م١) **يُنظر**: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم: (١/ ٩٥).

(م٢) سبق تخريجه.

الدعاء والدعوة في القرآن يتناول دعاء العبادة ودعاء المسألة، وفسر قوله - سبحانه -: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ بهذا وهذا(م١).

وقال ابن القيم في بدائع الفوائد بعد آيات ذكرها: وهذا في القرآن كثير يبين أن المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر، فهو يُدعى للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعى رجاء وخوفا دعاء عباده، فاعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة -إلى أن قال- وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما، ولا استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعمال له في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعا. انتهى(م٢).

فعلى هذا فنهيه - سبحانه - عن دعاء غيره نص في دعاء العبادة ودعاء المسألة حقيقة، فهو نهي عن كل واحد منهما حقيقة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣]. فهذا يتناول نوعي الدعاء، ثم قال: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر:١٤]. فهذا صريح في دعاء المسألة، ولهذا قال: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر:١٤]، ومن لا يسمع دعاء من دعاه ليس بأهل لأن يدعى، ومن لا يستجيب له لو سمعه لا يستحق أن يدعى، وهذه حال الميت لا يسمع دعاء من دعاه، ولو فرض أنه يسمعه لم يستجب له لعجزه، فقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣]. إن

(م١) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١٠/ ٢٣٧-٢٣٨).

(م٢) يُنظر: بدائع الفوائد لابن القيم: (٣/ ٨٣٦).

الآيتين تتناولان كل من يدعوه المشركون من دون الله، ومعلوم أنهم يدعون الملائكة والمسيح وأمه وعزيرا والجن واللات وغيرهم، وبعض من يدعونه ميت يدخل في العموم.

فإن قيل: إن الميت يسمع. قلنا كما تقدم: إنه لم يثبت أنه يسمع كل كلام، فقوله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ**»(م١). وكذلك الحديث الذي تقدم: «**ما مِن عَبدٍ يَمُرُّ عَلَى قَبرِ رَجُلٍ يَعرِفُهُ فِي الدُّنيا فَيُسَلِّمُ عَلَيهِ إلاَّ عَرَفَهُ ورَدَّ عَلَيهِ السَّلامُ**»(م٢). يدل على أن رد الروح يحصل حين السلام.

وقال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء ٥٦-٥٧].

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في الكلام على هذه الآية - لما ذكر أن السلف من ذكر أن المراد بهم الملائكة، ومنهم من ذكر معهم الإنس كالمسيح وأمه وعزير، ومنهم من ذكر أنهم من الجن - قال: إن السلف يذكرون جنس المراد من الآية على التمثيل، كما يقول الترجمان لمن سأله عن لفظ الخبز فيريد رغيفا، والآية هنا قصد بها التعميم لكل ما يدعى من

(م١) أخرجه أبوداود في سننه، (ح: ٢٠٤١)، والطبراني في المعجم الأوسط، واللفظ له، (ح: ٩٣٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(م٢) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، (ح: ١٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

دون الله، فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية كما تتناول من دعا الملائكة والجن، ومعلوم أن هؤلاء يكونون وسائط فيما يقدره الله بأفعالهم، ومع هذا فقد نهى عن دعائهم وبيّن أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله، لا يرفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع ومن حال إلى حال كتغير صفته أو قدره؛ ولهذا قال ولا تحويلا، فـ(ذكر) نكرة تعم أنواع التحويل، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]. كان أحدهم إذا نزل واديا قال: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه. فقالت الجن: الإنس تستعيذ بنا. فازدادوا رهقا. قد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق، وهذا ما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق؛ لما ثبت عنه ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك، فإذا كان لا يجوز ذلك فأن لا يجوز أن يقال: أنت خير معاذ يستعاذ به أولى. فالاستعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها من نوع الدعاء والطلب وهي ألفاظ متقاربة. انتهى(م١).

وقد قدمنا بعض الأحاديث التي فيها تسمية الاستعاذة دعاء، ولهذا كان الأئمة المصنفون يدخلون أحاديث الاستعاذة في أثناء كتاب الدعوات كصاحبي الصحيحين وغيرهما؛ لأن الاستعاذة عندهم دعاء حقيقة وهذا ظاهر، فقول الإنسان: أعوذ بفلان من كذا أو أسأله أن يدفع عني أو يرفع عني كذا فهو في

(م١) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١٥/ ٢٢٦-٢٢٧).

الحالتين سائل طالب داع، فانظر إلى قوله رَحِمَهُ اللهُ فكل من دعا ميتا أو غائبا تناولته هذه الآية، وهو ظاهر؛ لأن هؤلاء غائبون كالملائكة والمسيح، وغائب الملائكة أقرب من غائب البشر ويقدرون على ما لا يقدر عليه البشر وهم يكونون وسائط فيما يقدره الله بأفعالهم، وممن أريد بالآية من هو ميت كمريم وعزير، ومن المعلوم يقينا أن أموات البشر وغائبهم لا يملكون كشف الضر عمن دعاهم ولا تحويله من حال إلى حال، فالآية تناولتهم قطعا، فيقال لداعيهم: ادعوهم فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا(١) .

(١) حاصل هذا البحث: هو أن الدعاء لا يصلح إلّا لله، و الاستعاذة لا تصلح إلّا لله، والاستغاثة لا تصلح إلّا لله، وصرف شيء من ذلك لغير الله سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا إنما هو الشرك بعينه؛ فإن الله يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].
يقول ابن القيم: إن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن معانيها جمعها القرآن، ومعاني القرآن جمعتها سور المفصل، ومعاني المفصل جمعتها سورة الفاتحة، ومعاني الفاتحة جمعها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] (ت١). أي: أن جميع الكتب المنزلة من السماء انتظمتها هذه الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]. ومعنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ أي: نخلص العبادة لك وحدك لا شريك لك، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ أي: نطلب منك العون على طاعتك وعلى جميع أمورنا كلها، هذا معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]. فالله قطع عن خلقه تعلقهم بغيره، وأمرهم أن تكون العبادة كلها له.
قال تعالى محتجا على المشركين: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ .... ﴿٦٠﴾﴾ [النمل:٦٠]. =

(ت١) يُنظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم: (١/ ٩٥).

وقال ابن القيم في المدارج: ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم؛ فإن الميت قد انقطع

= فهل هنا معبود مع الله خلق سماءً، أو ترك لأرضه ماءً، أو أنزل من السماء ماءً، أو شارك في إيجاد شجرة: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ المشركون، ثم قال: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾؛ أي: ثابتة بسطها وأرسى عليها الجبال، من هو؟! ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ [النمل:٦١] بأن أوجد هذه الأنهار فجعلها سابحة من قطر إلى قطر ومن جهة إلى جهة، هل هناك معبود مع الله أوجد هذه الأرض وأرساها بالجبال؟! ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل:٦١] هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦١] عمل ذلك؟! ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٦١].

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢]. من هو؟ هل هنا مع الله إله يجيب المضطر؟ ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢]؛ أي الضر والبلاء. ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل:٦٢] من هو؟ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٢] يستطيع أن يجيب المضطر، يستطيع أن يكشف البلاء، يستطيع أن يجعلكم خلفاء الأرض، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢]. أما تتذكرون؟! تذكروا ولو قليلا ترجعون به إلى ربكم، وتعرفون أن معبودكم وخالقكم هو الله، وأنه هو المستحق للعبادة، وأن عبادة ما سواه من ميت أو غائب أو ملك أو نبي فهي باطلة، ثم قال: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [النمل:٦٣]. فمن منا يستطيع أن يهديكم في ظلمات البر والبحر؟ هل يستطيع ملك مقرب أن يرسل الرياح بغير إذن الله تبارك وتعالى؟ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ثم قال: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل:٦٤]، كل هذه الآيات تبطل ما يدعي عباد القبور، عباد غير الله، ويزعموا أنهم وسائط بينهم وبين الله، والله لم يرضَ أن يكون بينه وبين عباده أي واسطة ما، والله أعلم.

عمله وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، فضلا لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها، والميت محتاج إلى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم، ونسأل الله لهم العافية والمغفرة، فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقصاء الحوائج والاستغاثة بهم، وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد، وسموا قصدها حجا، فجمعوا بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئا بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء أعداء الرسل وأهل التوحيد في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم، وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلّا من جرد توحيد الله، وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده، فجرد حبه وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله واستعانته بالله، إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله، فهو لله وبالله ومع الله(م١).

وقال في موضع آخر: وهكذا قول عباد المسيح للنبي ﷺ لما قال لهم إن المسيح عَبْد، قالوا: تنقصت المسيح وعِبته. وهكذا أشباه المشركين لمن منع

(م١) يُنظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم: (١/ ٣٥٣-٣٥٤).

اتخاذ القبور أوثانا تعبد ومساجد، وأمر بزيارتها على الوجه الذي أذن الله فيه ورسوله، قالوا: تنقصت أصحابها، فانظر إلى هذا التشابه بين قلوبهم، حتى كأنهم قد تواصوا به، ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

وقد قطع الله - سبحانه - في كتابه الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعا، يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله وليا أو شفيعا فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ ، ٢٣]. فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلّا ممن فيه خصلة من هذه الخصال الأربع: إما مالك لما يريد عابده منه، فإن لم يكن مالكا كان شريكا، فإن لم يكن شريكا كان معينا له وظهيرا، فإن لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده، فنفى - سبحانه - المراتب الأربع نفيا مرتبا متنقلا من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بإذنه، وكفى بهذه الآية نورا وبرهانا ونجاة وتجريدا للتوحيد، وقطعا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وفهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم

وشر منهم ودونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك، ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية، وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمه، وقع فيه وأقره ودعا إليه وصوبه وحسنه، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه، فتنقض بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا، والبدعة سنة، والسنة بدعة، ويكفر الإنسان بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا، والله المستعان(م١).

هذا كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ في زمانه، فكيف لو أدرك هذا الزمان؟! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال ابن القيم أيضا: قال شيخنا وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب، أبعدها عن الشرع: أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس. قال: وهؤلاء من جنس عباد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت أو الغائب كما يتمثل لعباد الأصنام، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب، يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحيانا، وقد يخاطبه ببعض الأمور الغائبة، وكذا السجود للقبر والتمسح به وتقبيله.

(م١) **يُنظر**: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم: (١/ ٣٥٠-٣٥٢).

المرتبة الثانية: أن يسأل الله به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين، وهو بدعة باتفاق المسلمين.

الثالثة: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه، فهذا أيضا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعا بين أئمة الدين، وإن كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك، ويقول بعضهم قبر فلان الترياق المجرب. والحكاية المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر. انتهى[م١].

قال ابن القيم: ورأيت لأبي الوفاء ابن عقيل في ذلك فصلا حسنا فذكرته بلفظه قال: لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم؛ فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم - قال - وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها، وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها: يا مولاي، افعل بي كذا وكذا، وأخذ تربتها تبركا، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر، إقتداء بمن عبد اللات والعزى. انتهى المقصود منه[م٢].

(م١) يُنظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم: (١/ ٢١٧-٢١٨).

(م٢) يُنظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم: (١/ ١٩٥).

وقال شيخ الإسلام وقد سئل عن رجلين تنازعا، فقال أحدهما: لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله فإنا لا نقدر أن نصل إليه إلّا بذلك.

فأجاب - رحمه الله تعالى - بقوله: إن أراد بذلك أنه لا بد لنا من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق؛ فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه، وما يأمر به وما ينهى عنه إلّا بواسطة الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده، وهذا مما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، فإنهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أوامره ونواهيه، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج:٧٥]. ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل.

وإن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يكونوا واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ودفع المضار. فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب وتفريج الكربات وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين -إلى أن قال- فمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين يكونون بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، وأن الله إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما

أن الوسائط يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. وهؤلاء مشبهون شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله أندادا. وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى، فإن هذا دين المشركين عباد الأوثان الذين كانوا يقولون إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وأنها وسائل يتقربون بها إلى الله. انتهى ملخصا(م١).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في الرسالة السنية - لما ذكر حديث الخوارج - قال: فإذا كان في زمن النبي ﷺ من قد مرق من الإسلام مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام في هذا الزمان قد يمرق أيضا، وذلك بأمور، منها: الغلو الذي ذمه الله، كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عدي، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح. فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية، مثل: أن يدعوه من دون الله؛ بأن يقول: يا سيدي فلان، أغثني أو أجبرني أو توكلت عليك أو أنا في حسبك، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه إله آخر. والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى، مثل:

(م١) **يُنظر**: الواسطة بين الحق والخلق لابن تيمية: (ص١٦-٣٩).

الملائكة والمسيح وعزير والصالحين أو صورهم لم يكونوا يقولون إنها تخلق وترزق، وإنما كانوا يدعونهم يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله. فبعث الله الرسل تنهى أن يدعى أحد من دون الله، لا دعاء عبادة ولا دعاء استعانة. انتهى(م١).

ونصوص القرآن كثيرة مصرحة بأن المشركين في الشدائد ينسون آلهتهم من الملائكة والبشر وغيرهم ويخلصون الدعاء لله وحده كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١]. وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر:٨]. الآية. وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس:١٢]. والآيات في ذلك كثيرة معلومة. فالله - سبحانه - رضي إخلاصهم في هذه الأحوال.

ومقتضى قول هذا المفتري أن الله - سبحانه - أمر بالطلب من الأموات وغيرهم، وأن الله يحبه ويرضاه، وأن يكون عدم إخلاص هؤلاء المشركين في الشدائد أصوب، وأن الأولى بهم الاستمرار على الطلب من الملائكة والمسيح وعزير وغيرهم؛ لأن ذلك من الوسيلة التي أمر الله بها في زعم هذا الضال. وكفى بهذا فضيحة له.

(م١) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٣/ ٣٩٥-٣٩٦).

ومما يزيد مما قررناه وضوحا أن الله - سبحانه - سمى الدعاء في كتابه دينا، قال - سبحانه -: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وقال: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [لقمان: ٣٢].

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [يونس: ٢٢]. والمراد بالدين في هذه الآيات الدعاء عند جميع المفسرين، وهو ظاهر مفسر في مثل قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٦٧]. وفي قوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ﴾ [الأنعام ٤٠ - ٤١]. وقال: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأنعام: ٦٣]؛ أي: سرا وعلانية. ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام:٦٣]، أي يقولون: لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين. وذكر - سبحانه - الدين في هذه الآيات معرفا بالألف واللام وهو الدعاء. وقال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة:٥]. وقال: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر:١٤]. وقال: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر:٦٥]. وقال: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر:٢، ٣]. وقال: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر:١١]. فلما سمى الله - سبحانه - الدعاء دينا وأمر بإخلاص الدين له وضد الإخلاص الشرك، ومن جملة الدين

الدعاء، فمن جعل شيئا من الدين لغير الله فقد أشرك. وقد قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال:٣٩]، أي: وحتى يكون الدين كله لله، فمتى كان شيء من الدين لغير الله فالعصمة منتفية، ومن أنواع الدين: الدعاء بنص القرآن.

فإن قيل: ما معنى الوسيلة في قول الله - سبحانه -: ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾؟ [المائدة:٣٥]. قيل: المراد بالوسيلة التقرب إليه - سبحانه - بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

قال البغوي: الوسيلة القربة[م١]. وقال البيضاوي: أي ما تتوسلون به إلى ثوابه والزلفى لديه من فعل الطاعات وترك المعاصي[م٢]. وقال ابن كثير: المعنى تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه -قال- وهذا إجماع من المفسرين، وكذا قوله في الآية الأخرى: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء:٥٧][م٣].

قال البغوي: الوسيلة القربة، وقيل الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله. وقال البيضاوي: يبتغون إلى ربهم الوسيلة بالطاعة. أي هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة بالطاعة أيهم اقرب بدل من واو يبتغون، أي: يبتعي من هو اقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب ونحو ذلك.

(م١) **يُنظر**: معالم التنزيل للبغوي: (٣/ ٥١).

(م٢) **يُنظر**: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: (٣/ ٥١).

(م٣) **يُنظر**: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٣/ ٩٤).

قال ابن كثير: وقيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله، وذلك بطاعته وازدياد الخير. وقول البغوي: ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به، هذا لفظ البغوي لا ابن عباس، وضل الناقل في عزوه إلى ابن عباس. فان كان معنى هذه الكلمة كما قال البغوي فالمراد بذلك: ما كان يفعله الصحابة مع النبي ﷺ في حياته من طلبهم دعاءه لهم واستسقائهم به في أحاديث كثيرة، وما فعله عمر بعد موته ﷺ من استسقائه بالعباس في قوله: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا**»[م1]. وكذلك فعل معاوية مع يزيد بن الأسود الجرشي لما استسقى قال: «اللهم إنا نستشفع إليك بخيارنا يزيد، يا يزيد ارفع يديك إلى الله فرفع يديه ودعا ودعوا فسقوا». فهذا من الوسيلة[م2].

قال شيخ الإسلام تقي الدين: أما التوسل والتوجه إلى الله وسؤاله بالأعمال الصالحة التي أمر الله بها كدعاء الثلاثة الذين آووا إلى الغار بأعمالهم الصالحة، وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم فهذا مما لا نزاع فيه؛ بل هو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ وقوله: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾؛ فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو طلب ما يتوسل به؛ أي: يتوصل به ويتقرب إليه به - سبحانه - سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامتثال الأمر، أو كان على وجه السؤال والاستعاذة به رغبة إليه في جلب المنافع

(م1) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ١٠١٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(م2) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، (ح: ٣٨٢٥) من حديث سليم بن عامر رضي الله عنه.

ودفع المضار[م1]. ومن ذلك: سؤاله بأسمائه وصفاته، كقوله: أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام[1].

واستدل المعترض بقول الله سبحانه: ﴿لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾. قال: فقد أخبر أن الله ملَّك المؤمنين الشفاعة، فطلبها ممن يملكها بتمليك الله له لا مانع منه، كمن طلب المال وغيره ممن ملكه الله إياه، ومراد المنادي له ﷺ والمتوسل به إنما هو الشفاعة. انتهى.

قوله: إن الله ملَّك المؤمنين الشفاعة كما ملك أهل الدنيا المال وغيره فحقيقة هذا القياس أن الشفعاء يشفعون عنده بغير إذنه وفيمن لا يرضى أن يشفع فيه، كما أن أهل الدنيا يتصرفون فيما أعطاهم الله بغير إذنه - سبحانه -، وقد يتصرفون تصرفا لا يرضاه الله، يتصرفون بحسب اختيارهم لا بأمر الله لهم وإذنه، فقد يعطون من لا يرضى الله إعطاءه، ويمنعون من يحب الله إعطاءه، بل يعطون من نهى الله عن إعطائه، ويمنعون من أمر الله بإعطائه، ويقربون إليهم من أمر الله بإبعاده، ويبعدون من أمر الله بتقريبه، وليس كذلك حال الشفعاء عند الله. ونصوص القرآن صريحة في أنه لا يشفع عنده أحد إلّا بوجود أمرين: إذنه للشافع، ورضائه عن المشفوع فيه، فمتى فقد الأمران أو أحدهما لم يوجد

(1) لم أعثر على تعليق سماحته.

(م1) يُنظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية: (2/ 312).

شفاعة قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦]. وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس:٣]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٩]. وقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر:٤٣، ٤٤].

وقياس هذا أقبح من قياس المشركين بالشفعاء عند الملوك. فالمشركون جعلوا شفعاءهم بمنزلة خواص الملوك عند الملوك يشفعون عندهم بغير إذنهم، وفيمن لا يرضونه، وهذه هي الشفاعة الشركية التي نفاها القرآن، وأما قياس هذا الجاهل الشفاعة بحال الدنيا وملكهم فيها، فالذي يسأل أهل الدنيا يسألهم مما في أيديهم يقول: أعطوني مما في أيديكم. لا يقول إنهم يشفعون له عند الله، ولا يقول اشفعوا لي؛ فتبين بطلان قياس هذا وضلاله.

قال شيخ الإسلام تقي الدين بعد كلام سبق: ولهذا كانوا في الشفاعة على ثلاثة أقسام:

فالمشركون أثبتوا الشفاعة التي هي شرك، كشفاعة المخلوق عند المخلوق كما يشفع عند الملوك خواصهم لحاجة الملوك إلى ذلك، فيسألونهم بغير إذنهم ويجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم إليهم، فالذين أثبتوا مثل هذه الشفاعة عند الله مشركون كفار؛ لأن الله لا يشفع عنده أحد إلّا بإذنه، ولا يحتاج

إلى أحد من خلق، بل من رحمته وإحسانه إجابة دعاء الشافع، ولهذا قال: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة:٤] إلى أن قال: وأما الخوارج والمعتزلة فإنهم أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته، وهؤلاء مبتدعة ضلال مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ﷺ ولإجماع خير القرون.

القسم الثالث: أهل السنة والجماعة، وهم سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، أثبتوا ما أثبته الله في كتابه وسنة رسوله، ونفوا ما نفاه، فالشفاعة التي أثبتوها، هي الشفاعة التي جاءت بها الأحاديث، وأما الشفاعة التي نفاها القرآن كما عكسه المشركون والنصارى ومن ضاهاهم من هذه الأمة؛ فينفيها أهل العلم والإيمان، مثل: أنهم يطلبون من الأنبياء والصالحين الغائبين والميتين قضاء حوائجهم، ويقولون إنهم إن أرادوا ذلك قضوها، ويقولون إنهم عند الله كخواص الملوك عند الملوك، يشفعون بغير إذن الملوك، ولهم على الملوك إدلال يقضون به حوائجهم، فيجعلونهم لله بمنزلة شركاء الملك. والله - سبحانه - قد نزه نفسه عن ذلك. انتهى(م١).

وقوله: إن الله ملَّك المؤمنين الشفاعة مستدلا بقوله سبحانه: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٨٧]، وقوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]. بناء على أحد قولي المفسرين: إن الاستثناء في الآيتين متصل.

(م١) **يُنظر**: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٢٤/ ٣٤٠-٣٤٢).

فإطلاق القول بأن الله ملك المؤمنين الشفاعة خطأ؛ بل الشفاعة كلها لله وحده: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر:٤٤]. وأثبت - سبحانه -الشفاعة بإذنه، وأخبر النبي ﷺ أن الأنبياء يشفعون، والصالحين يشفعون، وعلى هذا فمن أذن الله له في الشفاعة يصح أن يقال إنه مَلَكَ ما أُذن له فيه فقط، لا ما لم يؤذن له فيه، فهو تمليك معلق على الإذن والرضا، لا تمليك مطلق كما يزعمه هذا الضال، وسيد الشفعاء - صلوات الله وسلامه عليه - لا يشفع حتى يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع، قال الله - سبحانه - لأكرم الخلق عليه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣] لما قال ﷺ في حق عمه: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»(م١)، وقال في حق المنافقين: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ﴾ [التوبة:٨٠](١).

---

(١) حاصل هذا البحث: هو أن الشفاعة ملك لله - تعالى -، لكن لو قال لك المبطل: الشفاعة ملك للشافع بدليل قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٨٧]. فقوله: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٨٧]. ومعنى: ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ هي شهادة أن لا إله إلا الله كما قال المفسرون(ت١)، فيكون مالك للشفاعة، وكذلك آية الزخرف في آخرها، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ...﴾ [الزُّخرُف: ٨٦]، وهي شهادة أن لا اله إلا الله. =

(م١) سبق تخريجه.

(ت١) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير: (١٨/ ٢٥٥)، معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي: (٥/ ٢٥٥)، رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز للرسعني: (٤/ ٤٦٥).

= قال لك مثلا المبطل: الشفاعة ملك للشافع بدليل هذه الآيات: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾، وقوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. تقول له أنت: (إلّا) هنا هل هي استثناء منقطع أو استثناء متصل؟

وضابط المتصل: أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه.

وضابط الاستثناء المنقطع: أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، مثل قوله: (قام القوم إلّا حمارًا، هذا المنقطع؛ لأن المستثنى منه غير جنس المذكور، خلاف لو قلت: (قام القوم إلا زيدًا)، هذا متصل؛ لأن (زيد) من جنس القوم وهذا واضح، فعلى القول بأنه متصل نقول: لا بأس متصل. تقول له أنت: أولا: الشفاعة ملك لله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا... ﴿٤٤﴾﴾ [الزُّمَر:٤٤]، لكن على سبيل التنزل معك نقول لك: الاستثناء متصل، وهو يملك الشفاعة، لكن لا يملكها إلّا فيما أُذن له؛ لأن الله يقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ...﴾ [البقرة:٢٥٥]. فإذا أذن الله له أن يشفع لهذا الشخص يكون الشافع مالك للشفاعة فيما أُذن له فيه أن يشفع فيه فقط، فليس فيها دلالة على أنك تطلب من الرسول الشفاعة، أو تطلب من هذا الولي. تأتي تقول: يا أحمد البدوي، اشفع لي، ما يملكها، فإذا استدل عليك بهذه الآية، قل إن الاستثناء في الآية متصل، فيكون مالك للشفاعة التي أذن الله له أن يشفع فيها للمشفوع له، فالله أذن لك مثلا أن تشفع لـ [.....]، فأنت مالك للشفاعة التي أُذن لك فيها، لا أنك مالك للشفاعة مطلقا، فهذا واضح، بدليل أن النبي ﷺ لا يملك الشفاعة، ولا يشفع حتى يقال له: «**ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ**»(ت١)، والله يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، ويقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ...﴾ [البقرة:٢٥٥]، فعلى سبيل التنزل مع هذا المبطل وأمثاله نقول: الشافع يملك الشفاعة التي أُذن له فيها بأن يشفع لهذا المشفوع له، لا أنه يملكها مطلقا؛ بحيث تسأله الشفاعة، فهو لا يملكها، إنما يملك على سبيل التنزل فيما أُذن له فيه، فهل أُذن لك فيه بأن تشفع لي مثلا؟ لا. فالجواب عن هذه الآيات واضح.

(ت١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٧٥١٠)، ومسلم في صحيحه، (ح: ١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقوله: إن مراد المنادي له ﷺ والمتوسل به إنما هو بالشفاعة.

فقد تقدم جواب ذلك، وهو أن هذا مراد المشركين ممن قصدوه، كما أخبر الله عنهم بذلك كقوله عنهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]. لم يقولوا إن أحدا من الملائكة أو المسيح أو عزيرا أو الجن يستقلون بقضاء حوائجهم، وإنما يقولون إنهم يشفعون لنا عند الله في قضاء حوائجنا.

وقوله: إن الصحابة كانوا يطلبون منه ﷺ ولم ينكر عليهم، ولم يقل أنتم أشركتم؛ لأنكم طلبتم مني قبل الإذن - قال - فدل أن ذلك جائز في حياته وبعد موته؛ لأنه حي في قبره بالاتفاق - قال - وما جاز أن يطلب منه في حياته جاز أن يطلب منه بعد الموت، ومن منع فعليه الدليل، وعلى قولكم أن الطلب عبادة يقتضي ألا فرق بين الحياة والممات انتهى.

أما استدلاله بطلب الصحابة منه في حياته أن يدعو لهم، ولم ينكر عليهم ولم يقل أنتم أشركتم، فهذا من المغالطة والترويج على الجهال، يقول: إذا أنكرتم طلب الدعاء منه بعد موته لزمكم ألا تجيزوا طلب الدعاء منه في حياته! وإذا قلتم: إنه لا يشفع في الآخرة إلّا من بعد إذن الله له لزمكم القول إنه لا يدعو لأحد في الدنيا إلّا من بعد إذن الله له في ذلك!

ويقول: لما ثبت أن الصحابة يطلبون الدعاء منه في حياته فكذلك يجوز بعد موته.

ويقول: إذا كان يدعو لهم بغير إذن الله في ذلك جاز أن يشفع لهم في الآخرة بغير إذن الله له، هذا حقيقة كلامه.

فيقال لهذا: وهل يقول أحد: إنه لا يجوز طلب الدعاء منه في حياته ﷺ أومن غيره؟ فلا يقول هذا أحد، فقد كان أصحابه يطلبون منه أن يدعو لهم ويستسقي لهم ويستنصر لهم ويستغفر لهم، وأمره الله بذلك فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩]. وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤]، فدعاؤه ﷺ من أعظم الوسائل إلى مطلوبهم، وقال ﷺ لعمر لما استأذنه في العمرة: «**أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ فِي دُعَائِكَ**»(م١)، وما زال المسلمون يطلب بعضهم من بعض الدعاء قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠].

وقوله: إن النبي ﷺ لم ينكر عليهم طلب الدعاء منه، ولم يقل أنتم أشركتم؛ لأنكم طلبتم الدعاء مني قبل الإذن.

فهذا تهويل منه وتوهيم للطغام، وهل يقول هذا أحد؟ وإنما الذي يتوقف على الإذن من الله - سبحانه - هو الشفاعة في الآخرة، حين يرجع الأمر والملك لله الواحد القهار، الذي لا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر،

(م١) أخرجه أبو داود في سننه، (ح: ١٤٩٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٩]. ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود:١٠٥]. ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]. والله سبحانه وتعالى فرق بين أحكام الدنيا والآخرة، فشرع لأهل الدنيا دعاء بعضهم لبعض للأحياء والأموات، وملكهم ما يتصرفون فيه، فهم يتصرفون بحسب اختيارهم، وأما الآخرة فأخبر - سبحانه - أنه المتفرد بالملك والأمر والتصرف في ذلك اليوم، فلا يصنع أحد شيئا، ولا أمر لغيره معه ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الإنفطار: ١٩]. ولا شفاعة إلّا من بعد إذنه ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس:٣].

فكلام هذا الضال يدور على التسوية بين أحكام الدنيا والآخرة، وهذا من أعظم المحادة والمشاقة لله ولرسوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وقوله: إنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره بالاتفاق. حكاية الاتفاق كذب منه، وهو قد نقض حكاية الاتفاق بما ذكره بعد من الحكاية المروية عن مالك رحمه الله، وقوله لأبي جعفر: إن حرمته ميتا كحرمته حيا. فوصفه مالكٌ بالموت حال كلامه مع أبي جعفر، فما ذكره عن مالك يكذب دعواه الاتفاق. ويأتي في عبارة لهذا وصف فيها النبي صلى الله عليه وسلم

بالموت الآن فهو متناقض[1].

وعبارته التي أشرنا إليها قوله في الكلام على حديث: «يَا عِبَادَ اللهِ احْبِسُوا»[م1]،

(1) حاصل هذا البحث: هو أن الشفاعة لا تطلب إلّا من الله، لكن يقول ابن جرجيس: إنّ طَلَبَها من الرسول لا مانع منه، فتقول: يا رسول الله، اشفع لي؛ لأن الله أعطاه الشفاعة، وقولكم: إن الشفاعة لا تكون إلّا بعد إذن الله، لم يقل الرسول: لا تطلبوني إلّا بعد الإذن، فيقول المصنف: هذا تهويلٌ، الإذن يوم القيامة. أما الدنيا مطلوب من الإنسان الدعاء، والشفاعة ملك لله ﷻ، لا تطلب من الرسول، إنما تطلب من الله بدليل قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤].
فاللام هنا للملك، ليست للرسول ولا لغيره، ثم أيضا الرب - جل وعلا - لا يأذن لا للرسول ولا لغيره أن يشفع إلّا لمن رضي الله قوله وعمله ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].
لو قال قائل مثلا: الرب ﷻ أخبر في القرآن بأن الشفاعة ملك للشافع، الشافع يملك تلك الشفاعة، فإذا كانت ملكا له حباها لمن شاء ممن شفع له بدليل قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٨٧]. لا يملكون الشفاعة إلّا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا، فمن اتخذ عند الرحمن عهدا فهو مالك للشفاعة ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]. فمن شهد بالحق يكون مالكا للشفاعة، ومعلوم أن الرسول شاهد بالحق فيكون مالكا للشفاعة.
تقدم أن قلنا: إنك تجيب عن هذا على سبيل الفرض، تقول: لو قلنا: إنه مالك للشفاعة، فلا يملكها إلّا بعد إذن الله له ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فيكون ملكه للشفاعة خاص فيما أُذن له فيه، وما لم يؤذن له فيه لم تكن ملكا له، فهيهات أنه إذنٌ له بأن يشفع فيك، بل اطلب من الله أن يشفع فيك، ماذا تقول؟ اللهم شفع فيَّ نبينا محمد، اللهم لا تحرمني شفاعته. وما أشبه ذلك.

(م1) أخرجه أبو يعلى في مسنده، (ح: ٥٢٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير، (ح: ١٠٥١٨) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

فقال: ولكون النبي ﷺ حاضرا مع موته شرع لنا خطابه والسلام عليه في الصلاة، وهو قولنا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

فقوله: حاضرا مع موته، وصف له بالموت الآن. هذا مع أنه لا يمكنه أن يأتي بحرف واحد عن الأئمة الذين يعتد بوفاقهم وخلافهم، كالأئمة الأربعة وأمثالهم على حياته ﷺ في قبره الحياة التي يشير إليها.

قال ابن القيم: لم يرد حديث صحيح أنه ﷺ حي في قبره، لكن نقطع أن الأنبياء لا سيما خاتمهم وأفضلهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين أعلى رتبة من الشهداء، وقد قال - سبحانه - عن الشهداء: أنهم أحياء عند ربهم يرزقون، فالأنبياء أولى بذلك، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. ومع ذلك فالشهداء داخلون تحت قوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [العنكبوت:٥٧]. ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠]. فأثبت - سبحانه - للشهداء موتا بدخولهم في العموم كالأنبياء وهو الموت المشاهد، ونفى عنهم موتا، فالموت المثبت غير الموت المنفي، فالموت المثبت هو فراق الروح الجسد، وهو مشاهد محسوس، والمنفي زوال الحياة بالجملة عن الروح والبدن. انتهى[م١].

وقال البيضاوي على قوله سبحانه: ﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:١٥٤]. فيه تنبيه على أن حياتهم ليست في الجسد، ولا من جنس ما يحس به

(م١) لم أقف عليه عند ابن القيم؛ بل عند ابن تيمية. يُنظر: أمراض القلب وشفاؤها لابن تيمية: (ص١٣).

من الحيوانات، وإنما هي أمر لا يدرك بالعقل بل بالوحي. انتهى(م١).

ومن العجب أنه لو جاء إنسان إلى ميت على وجه الأرض شهيدا أو غيره يطلب منه أن يدعو له، فضلا أن يطلب منه أن ينصره على عدوه أو يكسوه؛ لقال الناس: هذا مجنون، فإذا صار رميما في بطن الأرض زين لهم الشيطان، ودعاة الضلال من الإنس الاستغاثة به وطلب الحاجات منه. والعامي السليم الفطرة يعلم بطلان هذا بفطرته، كما حُكي لنا: أن رجلا من أهل مكة ينسب إلى علم قال لرجل عامي من أهل نجد: أنتم ما للأولياء عندكم قدر، والله يقول في الشهداء: إنهم أحياء عند ربهم يرزقون. قال له العامي: هل قال: يَرزقون -يعني بفتح الياء - أو قال: يُرزقون -يعني بالضم -، فإن كان يعني بالفتح فأنا أطلب منهم، فإن كان يعني بالضم فأنا أطلب من الذي يرزقهم. فقال المكي: حجاجكم كثيرة وسكت.

ويقال لمن ادّعى أن النبي ﷺ حي في قبره كحياته كما كان على وجه الأرض: ثبت أنه ﷺ مات بنص القرآن، فما حجتكم على أنه عاد حيا كما كان على وجه الأرض قبل موته؟ فلن يجد إلى ذلك سبيلا، وليس عندهم إلّا مجرد دعوى أو شبهة لا حقيقة لها، ويدل على بطلان هذه الدعوى ما رواه أبوداود عنه ﷺ قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَا رَدَّ اللهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ**»(م٢). فهذا يدل على أن روحه الشريفة ﷺ ليست في بدنه دائما، وإنما هي في أعلى عليين، ولهذا اتصال بالجسد الله

(م١) **يُنظر**: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: (١/ ١١٤).

(م٢) أخرجه أبوداود في سننه، (ح: ٢٠٤١)، والطبراني في المعجم الأوسط، واللفظ له، (ح: ٩٣٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أعلم بحقيقته، لا يدركه الحس ولا العقل، وليس ذلك خاصا به ﷺ؛ لحديث تقدم عنه ﷺ، قال: «**ما مِن عَبدٍ يَمُرُّ عَلَى قَبرِ رَجُلٍ يَعرِفُهُ فِي الدُّنيا فَيُسَلِّمُ عَلَيهِ إلاَّ عَرَفَهُ ورَدَّ عَلَيهِ السَّلامُ**»(م١).

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ: «**أَرْوَاحُهُمْ - أي الشهداء - فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ...**»(م٢).

وقد أخبر - سبحانه - أنهم في البرزخ أحياء عند ربهم يرزقون. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في حق النبي ﷺ: «**وَاللهِ لا يَجْمَعُ اللهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مِتَّهَا**»(م٣).

وقد قام الدليل القاطع أنه عند النفخة في الصور لا يبقى أحد حيا، فلو كان الأمر كما يزعمون لكان الله قد يجمع عليه موتتين، ولما قال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ، قَالَ: فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: بَلِيتَ، قَالَ: إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**»(م٤).

(م١) سبق تخريجه.

(م٢) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ١٨٨٧) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(م٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٤٤٥٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(م٤) أخرجه أبوداود في سننه، (ح: ١٥٣١) من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه.

ولم يقل لهم أنا حي في قبري كحياتي الآن - صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين[1].

---

(١) حاصل هذا البحث: هو أن ابن جرجيس يقول: إن الرسول حي في قبره، والمصنف رحمه الله يقول: نعم، حياة برزخية الله أعلم بكنهها، لكن هو ميت، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١]. وقال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. نكرة في سياق الإثبات تعم. وقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤-٣٥].

أما قولك: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٩].

فهي حياة برزخية، إنما تدرك بالوحي. والعقل لا يملك أن يدرك هذه الحياة البرزخية، الله أعلم بكنهها. نعم جاء في الأحاديث: أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، وأنها تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، وأنها تذهب وتسرح في الجنة، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فهذا طريق أرواح الشهداء وحياتها.

المهم أن الحياة حياة برزخية، والرسول له حياة أكمل من الشهداء، لكن فرق، أنه حي مثل حياة الدنيا! أو أننا نسأله أو أنا نطلب منه المدد؛ هذا لا.

وقد خرَّج رجل في هذه الأيام كتابًا يقول فيه: إن الرسول حي، وأنه يصوم معنا، ويحج معنا كل سنة، لكن لا نراه. يقول: إنه توضأ في قبر [.....]. لا أدري من أين ذكر هذا؟!

يقول: إن الرسول يحج كل سنة، وأنه يحضر في الناس ويجلس معهم إلى حلقات الذكر إذا أقيمت، وأنه ينبغي أن يقوموا يقابلونه، يعني: إذا أقبل! لكن لا نراه كيف يصلي ويتوضأ ويصوم، نتمنى حتى نسأله عن الخلاف في المسائل بين أهل العلم. وأين قوله: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠]؟!

هذا ما يمكن أن يقال على [.....] فيه مثل هذا، وأن يقول بهذا عاقل فضلًا عن أن يقول به من ينتسب إلى العلم. =

قوله: وما جاز أن يطلب منه في حياته جاز أن يطلب منه بعد موته، ومن منع فعليه الدليل.

ليس هذا خاصا به ﷺ عند هذا المعارض، بل يزعم كما تقدم: أن الله أمر بطلب الحاجات ممن يعترف هذا بموتهم في قوله: إن الله أمر بالطلب من الأموات والغائبين. وادّعى في موضع آخر حياتهم، فهو متناقض كما ترى.

قوله: ومن منع فعليه الدليل.

فنقول: جميع ما تقدم من الأدلة الدالة على أن دعاء الأموات والغائبين وطلب الحاجات منهم من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، يدخل في ذلك الملائكة والأنبياء والصالحون وغيرهم؛ لأن ذلك عبادة، وهي محض حق الله لا يرضى أن يشرك معه فيها مَلك مقرب ولا نبي مرسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]. وقال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

وقال سيد ولد آدم ﷺ: «**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا**

= نعم، الرسول سيد الخلق، وهو إمام الخلق، وهو أفضل من طلعت عليه الشمس، وأفضل من مشى على الأرض، وهو سيد ولد آدم - صلوات الله وسلامه عليه - وهو أفضل المخلوقين - صلوات الله وسلامه عليه -، لكن لا يلزم من هذا أنا نرفعه فوق رتبة الله، أو أنا نثبت له شيئا لم يثبته الله له، بل جاءت النصوص بخلافه، أما نقول: توضأ وأنه يصوم وأنه يحج كل سنة، كل هذه من الأمور التي لا أصل لها، والله أعلم.

أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»[م1]. وقال: «**مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ**»[م2].

وقول المعترض: وما جاز أن يطلب منه في حياته جاز أن يطلب منه بعد موته.

تقدم الجواب عنه عند قوله: لأن الشيء الواحد يكون بالنسبة للحي طاعة وبالنسبة للميت عبادة.. إلخ. تقدم هناك ما فيه كفاية لمن أراد الله هدايته.

وكلامه في هذا الموضع في حق النبي ﷺ يحتاج إلى زيادة بيان وإيضاح. فمن المعلوم بالضرورة أن الصحابة كانوا يطلبون منه ﷺ في حياته أن يدعو لهم ويستغفر لهم ويستسقي لهم ويستفتونه، ويطلب الناس منه عرَض الدنيا مما أعطاه الله -تعالى-، ويرجعون إليه فيما أشكل عليهم من أمر دينهم، وهذا كله معلوم بالضرورة. وأما بعد موته فلم يأتِ أحد من الصحابة إلى قبره ﷺ يطلب منه أن يدعو له، فضلًا عن أن يطلب منه شيئًا من عرَض الدنيا، أو نصر على عدو ونحو ذلك، ولا استفتاه أحد منهم فيما أشكَلَ عليهم. فأولُ ذلك لما أشكَلَ عليهم: هل يجردونه من ثيابه عند غسله أو لا؟ لم يسألوه وهو بين أيديهم. ولما عزم الصديق على قتال مانعي الزكاة، وحصل عند عمر توقف في ذلك؛ لم يأت إلى قبره يسأله عما استراب فيه. ولما حضرت عمر الوفاة طلب من عائشة أن

(م1) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(م2) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ١٢٥٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

يدفن مع صاحبيه، ولم يقل استأذنوا رسول الله ﷺ في ذلك لعلمهم رضي الله عنهم أن هذه الأمور مستحيلة منه بعد موته.

واستسقى عمر بالعباس ولم يأت هو والصحابة إلى قبره يطلبون منه أن يستسقي لهم كما كانوا يفعلونه في حياته. وحدث في المدينة حوادث عظيمة كوقعة الحرة ولم يأت أحد إلى قبره ليستنصر لهم، فضلًا عن أن يطلبوا منه أن ينصرهم، فلو كان هذا جائزا لأتوا إلى قبره ذكرهم وأنثاهم! لا سيما والمضطر يتشبث بأدنى سبب يظن به النفع. وهذا مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله لو فعل، لكنهم أعلم بالله ورسوله من هؤلاء الخلوف. وكان الناس يأتون إلى عائشة يستفتونها وهي في بيته ﷺ، فكيف يستفتونها وتفتيهم وهو ﷺ عندهم، يسمع كلامهم ويجيبهم لو سألوه في زعم هذا المبطل!

ولما وقع الاختلاف بين علي ومعاوية وأشكل أمرهم على كثير من الناس؛ لم يأتوا إلى قبره يستفتونه في هذا الأمر؛ ليُزيل الإشكال عنهم.

وأشكل على الصحابة مسائل كثيرة يختلفون فيها، يوجد في المسألة لهم قولان وثلاثة وأربعة وأكثر. وقال عمر: ثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنها.

فأين هذا المفتري عن أصحاب رسول الله ﷺ من أن يقول لهم: كيف تشكل عليكم المسائل وتختلفون فيها، وهذا نبيكم بين ظهرانيكم حي ما عرفتم قدره؟! هذه حقيقة دعوى هذا الملبِّس، تخطئة أصحاب رسول الله ﷺ

وتجهيلهم. وكان ابن عمر يأتي إلى القبر، فيقول: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا رَسُولَ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ**» ثم ينصرف(م١). وقال سلمة بن وردان: رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو(م٢).

ونص الأئمة الأربعة على أنه إذا سلم على النبي ﷺ وأراد الدعاء أنه يستقبل القبلة ولا يستقبل القبر.

ومن المعلوم أن أعظم مطلوب الأمة منه ﷺ أخذ العلم عنه، ولم يقصد أحد منهم قبره ﷺ، لذلك فالتابعون أخذوا العلم عن الصحابة، وتابعو التابعين أخذوا العلم عن التابعين، وكذلك كل طبقة يأخذون العلم عمن فوقهم، والعلماء يرحلون إلى الآفاق حجازًا وشامًا ويمنًا وعراقًا لطلب الحديث بالأسانيد والوسائط الكثيرة، وتحملوا المشاق العظيمة، فلو كان ما يقوله هذا حقا من أنه يطلب منه ﷺ بعد موته كل ما يطلب منه في حياته؛ لتزاحموا عند قبره لأخذ العلم عنه على حقيقته ويتركون الوسائط، وهذا أمر ظاهر الفساد، لكن ربما يدخل كلام هذا في نفوس بعض الجهال لظنهم أن عند هذا الرجل علما، فيتهموا الفطرة التي فُطروا عليها حتى يُبيِّن لهم بطلانه.

(م١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، (ح: ١١٧٩٣)، والبيهقي في سننه الكبرى، (ح: ١٠٢٧١) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(م٢) لم أقف على هذا الأثر في كتب الأحاديث والآثار؛ لكن أورده ابن تيمية في كتابه: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٥٢)، فانظره.

وقوله: فمن منع فعليه الدليل. فأي دليل أبلغ وأوضح مما قررنا من أن الصحابة قبل موته ﷺ يطلبون منه جميع ما تقدم، وأنهم بعد موته ﷺ ما فعلوا معه شيئا مما كانوا يفعلون معه في حياته من طلب الدعاء منه أو استفتائه أو طلب حاجة من حوائجهم أو نصر على عدو، وكذلك التابعون بعدهم، فلا دليل أوضح من هذا على بطلان قوله: إنه يُطلب منه بعد موته جميع ما يطلب منه في حياته.

قال ابن القيم رحمه الله: ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه - إلى أن قال - ومن المحال أن يكون دعاء الأموات أو الدعاء بهم مشروعًا، وتصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ ثم يرزقه الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور بضعا وعشرين سنة حتى توفاه الله، وهذه سنة خلفائه الراشدين، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، هل يمكن بشرًا على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أنهم إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها، فضلا عن أن يصلوا عندها أو يسألوا الله بأصحابها أو يسألوهم حوائجهم؟ فليوقفونا على أثر واحد في ذلك، بل يمكنهم أن يأتوا على الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك، وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك أكثر، حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن الصحابة حرف واحد من ذلك، بل فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمنا من الأحاديث المرفوعة، وأما آثار الصحابة فأكثر من أن يُحاط بها.

- وقد ذكر جملة مما روي في ذلك -، منها: ما ذكر محمد بن إسحاق في مغازيه من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار قال حدثنا أبو العالية قال: لما فُتحت تُسْتَرُ وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرا عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر الخطاب، فدعا كعبا فنسخه بالعربية فأنا أول رجل من العرب قرأه مثل ما أقرأ القرآن. قلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعمِّيه على الناس لا ينبشونه. قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيُمطرون. فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجلا يقال له: دانيال. فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة. قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع.

ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به، ولو ظفر به هؤلاء المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف، ولعبدوه من دون الله، فهم قد اتخذوا من القبور أوثانًا من لا يداني هذا ولا يقاربه وأقاموا لها سدنة، فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحا لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علما لذلك، ودعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان درجوا على هذا السبيل، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ

بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعا به ولا دعاه ولا دعا عنده أو استسقى به ولا استنصر به، ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه(م١).

وذكر ابن القيم أيضا ما رواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»**(م٢).

وروى أبو يعلى عن علي بن الحسين: أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ: **«لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ»**. رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي في مختارته(م٣).

وروى سعيد بن منصور في سننه عن أبي سعيد مولى المهري قال: قال رسول الله ﷺ **«لا تَتَّخِذُوا بَيْتِي عِيدًا، وَلا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي»**(م٤).

(م١) يُنظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم: (١/ ٢٠٠-٢٤٠).

(م٢) أخرجه أبو داود في سننه، (ح: ٢٠٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(م٣) أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة، (ح: ٤٢٨).

(م٤) لم أقف عليه في سنن سعيد بن منصور؛ لكن وقفت عليه عند غيره؛ منهم عبدالرزاق، فقد أخرجه في مصنفه، (ح: ٤٨٣٩) من غير طريق أبي سعيد مولى المهري.

وروى سعيد أيضا عن سهيل بن أبي سهيل قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى، فقال: هلم إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال: مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا بيتي عيدا، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء»[م1].

قلت: ورواه عبد الرزاق في كتابه عن الحسن بن الحسن بن علي: أنه رأى قوما عند القبر فنهاهم، وقال: إن النبي ﷺ قال: **«لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي»**[م2].

قال ابن القيم: فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث، لا سيما وقد احتج به من أرسله فهذا يقتضي ثبوته عنده، هذا لو لم يكن روي من وجوه مسندة غير هذين فكيف وقد تقدم مسندًا.

قال شيخ الإسلام تقي الدين قدس الله روحه: ووجه الدلالة منه: أن قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيدًا، فقبر غيره أولى. انتهى[م3].

(م1) لم أقف عليه بنصه في سنن سعيد بن منصور، ولا عند غيره.

(م2) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، (ح: ٦٧٢٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه، (ح: ٧٥٤٢).

(م3) يُنظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم: (١/ ٢٩٢).

ففيما ذكرناه أوضح برهان وأبين دليل على بطلان دعوى هذا المفتري في قوله إن ما جاز أن يطلب منه في حياته جاز أن يطلب منه بعد موته صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين[1].

---

(١) حاصل هذا البحث: هو أن المعترض يقول: كل ما جاز طلبه من النبي ﷺ في حياته فإنه يطلب منه بعد وفاته، ومن منع من هذا فعليه الدليل. ثم جاء بعبارة أن هذا عام، يعني: كل ما جاز طلبه من إنسان حي فإنه يطلب منه بعد وفاته، ومن منع من ذلك فعليه الدليل، هذا حاصل البحث.

فبزعمه أن كل ما طُلب من الرسول في حياته فإنه يطلب منه بعد وفاته. فكما أنهم يطلبون منه في حياته شيئًا من الدنيا كما في قصة هوازن؛ فإنه في قصة هوازن في غزوة حنين لما أخذ أموالهم وسبى نساءهم أعطى الأقرع بن حابس مئة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مئة من الإبل، وأعطى أبا سفيان مئة من الإبل، وأعطى ابنه معاوية مئة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس السلمي خمسين، حتى عمل قصيدته المعروفة وكمل له مئة، وجاءه وفد هوازن يطلبون منه أن يرد إليهم نساءهم وردها وأبناءهم، والقصة معروفة. فهل يجوز أن يؤتى إلى قبر الرسول يقول: يا رسول الله، أعطني [.....]، ما هذا؟! وهل يجوز أيضًا أن يُسأل بعد وفاته كما كان يُسأل في حياته؛ فإنه في حياته مازال المسلمون يسألونه، ومازال يحل مشاكلهم ويدعو لهم، فهل نُقل أنهم يأتونه بعد وفاته يقفون عند قبره ويستفتونه؟ فيقال لهذا العراقي: تعال أنت بنفسك اسأله، هل أنت على الحق أو على الباطل؟ أنت تزعم أن كل ما طُلب من الرسول في حياته فإنه يطلب منه بعد وفاته. طيب، تعال أنت اطلبه بعد وفاته كما كان يُطلب في حياته، تقول له: هل دعاء الأموات والغائبين

يا رسول الله، هل هو مشروع؟ تستريح ونستريح! لكن القوم ضلوا عن سواء السبيل، ضلوا وأضلوا جميعًا، وأعتقد أن هذا لا يحتاج إلى برهان ولا إلى أدله، بل ببداهة العقل يُعرف فساده، فإن قال مثلا: إنَّ هذا خاص بعلوم الآخرة، وأن ما كان يدعوه الناس في حياته فكذلك يشفع لهم بعد وفاته، قل له: ما الدليل على هذا؟ أو أنه يحل مشاكلهم. ما الدليل على هذا؟ =

= هذا نحن نقرأ في أحاديث رسول الله ﷺ إذا أجدبوا جاؤوا وهو يخطب الناس، فيقولون: يا رسول الله ادع الله أن يغيثنا، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، فيدعو فيُسقَون، ثم يأتونه فيقولون: ادع الله أن يمسكها عنَّا، فيدعو الله فيمسكها عنهم، بعد ما قال: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا»(ت١).

وهذا في أيام عمر رضي الله عنه جاءهم جدب عظيم، حتى إن الوحوش صارت تأوي إلى المدينة لعدم وجود ما تأكله في البر، فهل جاؤوا عمر أو غيره؟ والصحابة إذ ذاك متوافرون من المهاجرين والأنصار، هل جاؤوا إلى قبر الرسول ﷺ -كما كانوا يأتونه في حياته- فقالوا: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله أن يغيثنا! هم أعلم بالله، وأعلم برسول الله، وأعلم بمقاصد رسول الله، وهم الذين يروون لنا أنهم يأتونه في حياته، بل الأعرابي جاء في حياته وهو يخطب الناس يوم الجمعة، والصحابة متوافرون كلهم حضروا لأداء صلاة الجمعة، هلَّا عرفوا هذا بأن جاؤوه بعد وفاته كما كان هذا الأعرابي جاءه في حياته، وقالوا: يا رسول الله، ادع الله أن يغيثنا، فقد هلكت الأموال، وانقطعت السبل. أم أن عمر رضي الله عنه أمر المسلمين فخرجوا، وأمر العباس لأجل قربه من رسول الله ﷺ، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا - يعني بدعاء نبينا - فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، ثم قال: قم يا عباس، فادع الله...

فهل من الممكن أن عمر رضي الله عنه يعدل عن الرسول إلى عمه العباس؟ وهل العباس في الفضل والشرف يباري الرسول ﷺ أو يقاربه؟ لا يحسن بعمر رضي الله عنه أن يترك الرسول ويذهب إلى العباس. فكيف يقول هذا الرجل: إن كل ما يُطلب منه في حياته فإنه يطلب منه بعد وفاته. سبحان الله! ثم أيضا الرسول ﷺ مكث مدة طويلة في مكة وفي المدينة، وعلَّم أصحابه كيف يزورون المقابر، بل قال: قولوا: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لا حقون، يرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم(ت٢). =

(ت١) أخرج البخاري في صحيحه، (ح: ٩٣٣)، ومسلم في صحيحه، (ح: ٨٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(ت٢) أخرج مسلم في صحيحه نحوه، (ح: ٩٧٤)، وكذا ابن ماجه في سننه، (ح: ١٥٤٧).

= هذا الذي كان الرسول ﷺ يعلمه أصحابه إذا زاروا المقابر، فهل قال الرسول ﷺ إذا زرتم المقابر فسألوهم قضاء حوائجكم؟ أو اسألوهم الشفاعة؟ لكن سبحان الله العظيم! القوم ضلوا، إن هم إلّا كالأنعام، بل هم أضل سبيلا. طيب هل الميت يُسأل؟ يحتاج إليك أن تدعو له، محتاج إليك، ألا ترى أن الرسول ﷺ علمنا إذا قمنا نصلي على الميت بأن نقول: اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نُزُله - بضم النون والزا، يعني: وأكرم ضيافته؛ لأنه بجعلنا له في القبر صار كالضيف عند أول نزوله في هذا المكان وارتحاله من الدنيا - ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد(تـ١).

هذا نحن نسأل الله لهذا الميت، فهل نعكس القضية ونطلب من الميت أن يشفع لنا؟ بينما نحن الذي نشفع له عند الله بدعائنا، أو أنهم وفِّقوا لشيء فات القرون الثلاثة، ولم يعرفه القرون الثلاثة؛ حتى عرفه هؤلاء الخلوف من طلب الأموات والغائبين. ألم يقل الرسول ﷺ: **«لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**؟(تـ٢). ألم يقل: **«لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ وَتَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي حَيْثُمَا كُنْتُمْ»**؟(تـ٣).

ولكن كما قال الرسول ﷺ لا بد من وقوعه: **«لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ»**(تـ٤).

وكما قال الإمام البخاري في صحيحه: بَابُ تَغْيِيرِ الزَّمَانِ حَتَّى تُعْبَدَ الأَوْثَانُ. هذه ترجمة البخاري: بَابُ تَغْيِيرِ الزَّمَانِ حَتَّى تُعْبَدَ الأَوْثَانُ، ثم قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ - وساق بسنده - =

(تـ١) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٩٦٣)، وابن ماجه في سننه، (ح: ١٥٠٠) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(تـ٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٤٣٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(تـ٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، (ح: ٧٥٤٢) من حديث علي بن الحسين موقوفا.

(تـ٤) أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ، (ح: ٧٣٢٠)، ومسلم في صحيحه، (ح: ٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقوله: بل على قولكم: إن الطلب نفسه عبادة يقتضي ألّا فرق بين الحياة والممات... إلخ.

فقد تقدم الجواب عن هذه الشبهة في كلامنا على قوله فيما تقدم: إذا كان النداء دعاء لزم ألّا ينادي أحد لا حي ولا ميت.

وقوله هنا: فعلى قولكم: إن الطلب نفسه عبادة. مقتضى كلامه أن الطلب من حيث هو ليس بعبادة سواء كان الطلب من الله أو من غيره.

فيقال له: إن زعمت أن الطلب من الله ليس بعبادة فهذا معلوم البطلان كما قررناه فيما تقدم وبيَّنا دلائله، من ذلك أن الله أمر بدعائه وأثنى على من دعاه رغبًا ورهبًا فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وسمى النبي ﷺ الدعاء عبادة، فقال: «**الدُّعاءُ هو العِبادةُ**»(م١). وقال:

= عَنْ شُعَيْب، عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ**»(تـ١). يرجون خيرها وبركتها كما هو الواقع، يأتون إلى القبور يستغيثون بها، بل يؤلفون المؤلفات في طلب المدد منها، وهذا يقول: يُطلب من الرسول بعد وفاته كل ما كان يُطلب منه في حياته! نقول: اطلب أنت الأول - بعد وفاته - يُبيِّنُ لك، هل أنت على الحق أم على الباطل؟ دعه يأتي ويجاوبك، والله أعلم.

(م١) سبق تخريجه.

(تـ١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٧١١٦) من حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه.

«الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»(م١). وكل ما أمر الله به أمر إيجاب أو استحباب فهو عبادة عند جميع العلماء. فمن قال: إن دعاء العبد ربه ليس بعبادة له؛ فهو ضال، بل كافر. فإن أقر أنه عبادة ولا بد أن يقر إلّا أن يعاند ويكابر، فإن أقر أن دعاء العبد ربه عبادة فإذا دعا ربه راغبًا وراهبًا فقد عبده، فإذا دعا من لا يسمعه أو لا يستجيب له من ميت أو غائب كان قد دعا من لا ينفعه ولا يضره، ونصوص القرآن صريحة في النهي عنه وذم من دعا من هذه صفته، فيدخل في ذلك الأموات والغائبون كالجماد؛ لأن كلا من هؤلاء لا يستجيب لداعيه فلا ينفعه إن دعاه ولا يضره إن لم يدعه. وتقدم حكاية الشيخ تقي الدين إجماع المسلمين على كفر من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم. وتقدم أيضًا قول الله ﷻ: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦]. وقول المفسرين: إنها نزلت فيمن يعبد الملائكة والمسيح وأمه وعزيرًا والجن، وقول الشيخ تقي الدين: إن الآية تعم من دعا الأموات والغائبين. فكل من دعا ميتا أو غائبا فهو داخل في حكم هذه الآية، وهذا ظاهر؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والذين هم سبب النزول غائبون، وغائبهم أقرب من غائب الإنس، ومنهم الميت كعزير ومريم.

ويقال لهؤلاء الذين يدعون الأموات والغائبين: ادعوهم فيما يهمكم وينزل بكم من الشدائد؛ فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويله، فكل من دعا من لا يملك كشف الضر ولا تحويله داخل في عموم الآية. وأما طلب

(م١) سبق تخريجه.

الإنسان حاجته من حي حاضر ما يدخل تحت مقدور البشر فلم يمنع الله - سبحانه - من ذلك كما قدمنا، مع أن ترك مسألة الناس من تحقيق التوحيد وكماله. فلو أن الله - سبحانه - أمرنا بطلب حاجاتنا من الأموات والغائبين كما زعم هذا وفعلنا ذلك امتثالًا لأمر الله؛ كان ذلك عبادة منا لله لا لغيره، كما أن الله - سبحانه - لما أمر الملائكة بالسجود لآدم وسجدوا كان ذلك عبادة لله لا لآدم. ولو أمرنا الله بالسجود لنبينا وفعلنا كان ذلك عبادة منا لله لا لنبينا ﷺ، ولو فعلنا ما نهانا الله عنه من السجود لغيره كان ذلك عبادة للمسجود له.

واحتج المعارض بما رواه الترمذي عن أنس: أنه طلب من النبي ﷺ أن يشفع له.

وهذا لا يُنكر كطلب أهل موقف القيامة من الرسل أن يشفعوا لهم، وإنما ننكر الطلب منه بعد موته، وننكر الشفاعة الشركية التي أثبتها هذا بقوله: إن الله ملَّك المؤمنين الشفاعة كما ملَّك أهل الدنيا ما أعطاهم فيها، فهم كما تقدمنا يتصرفون على حسب اختيارهم. وحقيقة تشبيهه أن المؤمنين يشفعون بحسب اختيارهم من غير إذن من الله كحال أهل الدنيا فيما أعطاهم الله. فهذه هي الشفاعة التي ننكرها كما نفاها القرآن.

واستدل المعترض بحديث الأعمى. ولا حجة له فيه، وليس فيه ما يوهم جواز دعائنا له والاستغاثة به. وغاية ما يفهم من حديث الأعمى التوسل بجاهه ﷺ كما فهمه منه ابن عبد السلام. وقد بين شيخ الإسلام تقي الدين - رحمه الله تعالى - معنى الحديث وأوضحه غاية الإيضاح.

ولفظ الحديث: «**أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنِي. قَالَ: إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قَالَ: فَادْعُهُ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِيَ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ**»(م١). هذا لفظه. وليس فيه حجة لهذا في جواز الاستغاثة به ﷺ فهو لم يطلب من النبي ﷺ أن يرد عليه بصره، وإنما طلب منه ﷺ أن يدعو الله له، وليس في الحديث صراحة لما فهمه ابن عبد السلام.

قال شيخ الإسلام تقي الدين رحمه الله بعد كلام ذكره: ومن هذا استشفاع الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة، بمعنى أنهم يطلبون منه أن يشفع إلى الله كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم في الاستسقاء وغيره. وقول عمر: إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا. معناه: نتوسل إليك بدعائه وشفاعته وسؤاله، ونحن نتوسل إليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته، وليس المراد أنا نُقسم عليك به، أو ما يجري هذا المجرى مما يفعل بعد موته وفي مغيبه كما يقول بعض الناس: أسألك بجاه فلان عندك، أو يقولون: إنا نتوسل إلى الله بأنبيائه ورسله وأوليائه، ويروون حديثًا موضوعًا: «**إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي؛ فإن جاهي عند الله عريض**»(م٢). فلو كان هذا التوسل الذي كان

(م١) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٣٥٧٨)، وابن ماجه في سننه، (ح: ١٣٨٥) من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه.

(م٢) ينظر: السلسلة الضعيفة، (ح:٢٢) للألباني.

الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر لفعلوا ذلك بعد موته، ولم يعدلوا عنه إلى العباس، مع علمهم أن السؤال به والإقسام به أعظم من العباس. فعُلم أن ذلك التوسل الذي ذكره عمر هو مما يفعل بالأحياء دون الأموات، وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم؛ فإن الحي يُطلب منه ذلك والميت لا يُطلب منه دعاء ولا غيره. وكذلك حديث الأعمى فإنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه بصره، فعلمه النبي ﷺ دعاء أمره أن يسأل الله به قبول شفاعته. وإن قوله: أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، أي: بدعائه وشفاعته، كما قال عمر: كنا نتوسل إليك بنبينا، فلفظ التوجه والتوسل في الحديثين بمعنى واحد. ثم قال: يا محمد، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها، اللهم فشفِّعه فيّ، فطلب من الله أن يشفِّع فيه نبيه. وقوله: يا محمد، يا نبي الله، فهذا وأمثاله نداء يطلب منه استحضار المنادى في القلب، فيخاطب المشهود بالقلب، كما يقول المصلي: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. والإنسان يقول مثل هذا كثيرًا، يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب. انتهى[م1].

وقول المعترض: إن ابن تيمية يقول: إن الأعمى صوَّر صورة النبي ﷺ وخاطبه كما يخاطب الإنسان من يتصوره في ذهنه ممن يحبه أو يبغضه وإن لم يكن حاضرًا، - قال - وهذا عجيب من ابن تيمية، فإن نداء الصورة والطلب

(م1) يُنظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية: (٢/ ٣١٧- ٣١٩).

منها مع كونها وهمًا خياليا أقوى في الحجة على المانع، فهذا الحديث هو الدليل لمن يجوِّز نداء النبي ﷺ في حياته وبعد موته. والناظم ممن يرى ذلك. انتهى.

انظر كذب هذا على ابن تيمية بقوله: إن ابن تيمية يقول: إن الأعمى صوَّر صورة النبي ﷺ، وليس هذا لفظ ابن تيمية، وإنما قال رحمه الله: فهذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب، فيخاطب المشهود بالقلب كقول المصلي: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، - ثم قال - والإنسان يفعل مثل هذا كثيرا، يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب. هذا لفظه على حديث الأعمى في اقتضاء الصراط المستقيم وغيره، هل قال: إن الأعمى صوَّر صورة النبي ﷺ؟ وقول الشيخ بعد ذلك: والإنسان يفعل مثل هذا كثيرًا، يخاطب من يتصوره في ذهنه، أي: من يستحضره في نفسه.

وقوله: وهذا عجيب من ابن تيمية، فإن نداء الصورة والطلب منها مع كونه وهمًا خياليا أقوى في الحجة على المانع.

فيقال: وهل قال ابن تيمية: إنه يطلب من الصورة شيء. ولم يذكر ابن تيمية لفظ الصورة، وإنما قال من يتصوره؛ أي يستحضره.

ثم أتى المعارض بالكذب الصريح في قوله: وذكر ابن تيمية في معنى هذا الحديث قولين: قول بجواز التوسل به، بمعنى طلب دعائه في حياته. وقول بجواز ذلك في حياته ومماته ومغيبه، -قال- وقد وافق ابن تيمية ابن عبد السلام بجواز الطلب والتوسل به ﷺ؛ لحديث الأعمى، فصار نداؤه والطلب منه محل اتفاق. انتهى.

ففي هذه الجملة من كلامه ثلاث كذبات:

الأولى: قوله: إن ابن تيمية حكى قولا في معنى الحديث بجواز الطلب منه ﷺ في حياته ومماته وحضوره ومغيبه.

الكذبة الثانية: قوله: إن ابن تيمية وافق ابن عبد السلام بقوله: إن ابن عبد السلام يقول بجواز الطلب منه في الحياة والموت.

والكذبة الثالثة: قوله: فكان نداؤه والطلب منه محل اتفاق.

وكذبة رابعة على ابن عبد السلام بقوله: إن ابن عبد السلام يقول بجواز الطلب من النبي ﷺ والسؤال منه في الحياة والممات.

أما قوله: إن ابن تيمية حكى قولا في معنى الحديث أن المراد طلب الدعاء منه في الحياة والممات والحضور والغيبة، فهو كاذب على الشيخ.

والشيخ رحمه الله جزم بأن معنى الحديث: أن الأعمى طلب من النبي ﷺ أن يدعو له، وأن ذلك مختص بالحياة ممتنع بعد الموت؛ كاستسقاء عمر بالعباس. ثم ذكر قول ابن عبد السلام إنه فهم من حديث الأعمى التوسل بجاه النبي ﷺ ولم يوافقه الشيخ على ذلك، بل منع من التوسل بجاهه ﷺ وما جزم به الشيخ في معنى الحديث، وما حكاه عن ابن عبد السلام هما القولان اللذان ذكرهما في معنى الحديث حديث الأعمى، لا كما زعم هذا الكذاب أن القولين في طلب الدعاء منه، وأن أحد القولين اختصاص ذلك بالحياة، والقول الثاني: إن ذلك جائز في حياته ومماته ﷺ، وأن هذا قول ابن عبد السلام وأن الشيخ وافقه على

ذلك، فكذب على ابن عبد السلام وعلى الشيخ في زعمه أنهما أجازا طلب الدعاء منه ﷺ بعد موته. ما أجرأ هذا على تعمد الكذب! لأنه يرى كلام الشيخ على هذا الحديث نفسه، وإنكاره طلب الدعاء من الأموات، لا سيما طلب ذلك منه ﷺ، ويقول: طلب الدعاء من الأموات شرك. وكتابه في الرد على ابن البكري الذي جوز الاستغاثة بالنبي ﷺ موجود. وكلامه على حديث استسقاء عمر بالعباس في أن طلب الدعاء منه ﷺ مختص بحياته. وكلامه في هذه المسألة معروف مشهور موجود في كتبه، فكيف يجترئ على الكذب الظاهر.

قوله: فكان نداؤه والطلب منه محل اتفاق، كذب ظاهر وخطأ فاحش.

أما أولًا: فإنه لو يتفق ابن عبد السلام وابن تيمية على قول واحد في مسألة، فإنه لا يقال فيه إنه اتفاق، وإنما يقال هذا محل اتفاق فيما اجتمع عليه علماء الأمة الذين يعتد بوفاقهم وخلافهم في الأحكام، وهذا لم يذكر كلمة واحدة توافق مذهبه عن صحابي ولا تابعي ولا عن إمام من أئمة المسلمين، وإنما حقيقة أمر هذا الرجل كما قال بعض العلماء: شرك مبني على إفك.

كَذَبَ على الله في قوله: إن الله أمر بالطلب من الأموات والغائبين، وأن هذا من الوسيلة التي أمر الله بها. وكَذَبَ على النبي ﷺ في زعمه أن حديث الأعمى وغيره مما أورد يدل على ذلك. وادعى اتفاق العلماء على حياة النبي ﷺ في قبره. وادعى على ابن تيمية وابن عبد السلام أنهما أجازا الطلب من النبي ﷺ بعد موته وأن ذلك اتفاق. وكذب في قوله: إن في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلّا أن تقولوا لا إله إلا الله.

وكذبه وتناقضه ومعارضته للقرآن والحديث لا يخفى على عاقل منصف نبَّهنا على بعضه. وأحببت أن أذكر هنا بعض كلام الشيخ رحمه الله في مسألة التوسل وقول ابن عبد السلام.

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله في رده على ابن البكري: وما زلت أبحث وأكشف ما أمكنني من كلام السلف والأئمة والعلماء هل جوَّز أحد منهم التوسل بالصالحين في الدعاء، أو فعل ذلك أحد منهم، فما وجدته. ثم وقفت على فتيا للفقيه أبي محمد ابن عبد السلام أفتى بأنه لا يجوز التوسل بغير النبي ﷺ، وأما بالنبي فجوَّز التوسل به إن صح الحديث في ذلك.

وذكر القُدُورِيُّ في شرح الكرخي عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنه لا يجوز أن يُسأل الله إلا به. انتهى(م١).

وذكر ابن القيم في إغاثة اللهفان عن أبي الحسين القُدُورِيّ نحو ذلك، فقال: قال القُدُورِيُّ: قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلّا به، وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك، أو يقول بحق خلقك. وهو قول أبي يوسف.

قال أبو يوسف: معقد العز من عرشك هو الله، فلا أكره ذلك، وأكره بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحرام.

(م١) **يُنظر**: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١/ ١٤١)، (١/ ٢٠٢).

قال القُدُورِيُّ: المسألة بخلقه لا تجوز؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق فلا تجوز يعني وفاقًا.

وقال البلدجي في شرح المختارة: ويكره أن يدعو الله إلا به، فلا يقول: أسألك بفلان أو بملائكتك أو أنبيائك ونحو ذلك؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق. انتهى[م١].

وهذه المسألة غير ما نحن فيه، لكن ناسب ذكر ذلك لمخالفته لما فهمه ابن عبد السلام من حديث الأعمى، وأن الذي فهم ابن عبد السلام إنما هو التوسل به ﷺ في الدعاء، لا دعاؤه نفسه كما زعمه هذا المفتري.

واحتج المعترض بالحديث الذي رُوي مرفوعًا: «**إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ: يَا عِبَادَ اللهِ، احْبِسُوا، يَا عِبَادَ اللهِ، احْبِسُوا؛ فَإِنَّ لِلهِ حَاضِرًا فِي الْأَرْضِ سَيَحْبِسُهُ**»[م٢]. وزعم أن سنده صحيح.

وليس كما ذكر من صحته؛ لأن في سنده معروف بن حسان وهو منكر الحديث، قاله ابن عدي[م٣]، وعلى تقدير صحته فليس فيه حجة لهذا المبطل على جواز دعاء الأموات والغائبين؛ لأنه قال فيه: «**فَإِنَّ لِلهِ حَاضِرًا فِي الْأَرْضِ سَيَحْبِسُهُ**»؛

(م١) يُنظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم: (١/ ٢١٦-٢١٧).

(م٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده، (ح: ٥٢٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير، (ح: ١٠٥١٨) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(م٣) يُنظر: الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث لابن عدي: (٨/ ٣٠).

المعنى: أن لله عبادًا لا نعلمهم - وما يعلم جنود ربك إلا هو - قد وكلهم - سبحانه - بهذا الأمر. وهذا يدل على أن هؤلاء الذين أُمر بمناداتهم حاضرون أحياء، جعل الله لهم قدرة على ذلك، فمناديهم ينادي من يسمع ويقدر على ذلك، لقوله: «**فَإِنَّ لِلهِ حَاضِرًا فِي الْأَرْضِ سَيَحْبِسُهُ**». وهذا كما ينادي الإنسان أصحابه الذين معه في السفر أن يردوا عليه دابته إذا انفلتت.

وكل عاقل يتيقن أن النبي ﷺ لا يأمر بمناداة من لا يسمع ولا يعين من ناداه. ومن استدل بذلك على جواز الاستغاثة بالأموات والغائبين فهو ضال.

قال المعترض - بعد إيراده هذا الحديث -: وأما قول من قال: إن هذا نداء لحاضر كذب ظاهر؛ فإن عباد الله المدعوين - وإن كانوا حاضرين بالنسبة لعلم الله الذي لا يغيب عنه شيء - فهم غائبون بالنسبة لمن يناديهم، وكذلك الأنبياء والصالحون من أهل القبور فإنهم أحياء في قبورهم، وأرواحهم موجودة، ولهذا أمر النبي ﷺ أن ينادوهم ويخاطبوهم كمخاطبة الحاضر، مع أنهم غائبون عن الأعين. انتهى.

فالعجب من تناقض هذا!! يورد هذا الحديث - ونص الحديث: «**فَإِنَّ لِلهِ حَاضِرًا فِي الْأَرْضِ سَيَحْبِسُهُ**» - ثم يقول: من قال: إن هذا نداء لحاضر كذب ظاهر. يورد الحديث ثم يكذِّبه.

وقوله: فإن عباد الله المدعوين وإن كانوا حاضرين بالنسبة لعلم الله فهم غائبون بالنسبة لمن يناديهم. فيا سبحان الله!! كيف يبلغ اتِّباع الهوى بصاحبه

إلى هذا التناقض ومعارضة الأحاديث التي يحتج بها.

فإذا أخبر الرسول أنهم حاضرون قادرون بقوله: «**فَإِنَّ لِلهِ حَاضِرًا فِي الْأَرْضِ سَيَحْبِسُهُ**». فإخبار الرسول بحضورهم أبلغ من رؤيتنا لهم، كما لو كان الذي انفلتت دابته أعمى، ويعلم أن عنده أناسًا لا يراهم؛ فإنه يستعين بهم لعلمه أنهم يسمعون كلامه وإن لم يكن يراهم[(١)].

---

(١) ومعنى هذا يقول: إن سؤال الله ﷻ بالأنبياء أو بالملائكة نعمة من نعمه؛ هذا ما يقوله المعترض.

المصنف يرد عليه يقول: لا يجوز أن يُسأل الله إلّا بأسمائه وصفاته، وبما شرعه على لسان رسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]. ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠]. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه:٨].

وكما في الحديث المعروف: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ...**»[(تـ١)]. يا حي يا قيوم وما أشبه ذلك.

أما سؤال الله: أسألك بحق نبيك نبي الرحمة، أو أسألك بحق نوح، أو أسألك بحق عبادك هذا لا يجوز؛ فإنه ليس على الله حق لأحد، فلا للأنبياء ولا لأي مخلوق حق واجب على الله ﷻ حتى تسأله بحقوق خلقه، إنما تسأله بأسمائه وصفاته، وقد قال بعض العلماء في هذا: =

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ ... كَلَّا وَلَا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ

إِنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ، أَوْ نُعِّمُوا ... فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَاسِعُ

(تـ١) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ٣٧١٢)، والطبراني في المعجم الكبير، (ح: ١٠٣٥٢) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

قال المعترض في كلامه على هذا الأثر قال: ولكون النبي ﷺ حاضرا مع موته شرع لنا خطابه والسلام عليه في الصلاة.

فقوله: مع موته. إقرار منه بموته في قبره الآن. ثم كابر فادعى أن جميع الصالحين في قبورهم أحياء، وكَذَبَ في هذه الدعوى، والله - سبحانه - أخبرنا بحياة الشهداء في كتابه، والأنبياء أرفع من الشهداء فهم أولى بذلك من الشهداء، مع أنه لم يأت حديث صحيح بحياتهم. وهذه حياة لا يعلم صفتها وحقيقتها إلّا

= وهذا خلافًا للمعتزلة، فالمعتزلة يرون أن لك حقًّا على الله واجب عليه، وأهل السنة والجماعة يقولون ليس للمخلوق حق على الله؛ وإنما الذي جاء بحق العباد على الله وحق الله على العباد هو حق تفضُّل وامتنان، لا حق إيجاب، ولهذا يقول شاعر أهل السنة: مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ كَلَّا... إلى آخره.

فلا يجوز أن تسأل الله بحق نبي أو بحق فلان أو بجاه فلان أو بحقوق الأنبياء، لا، إنما تسأله بأسمائه وصفاته وما أشبه ذلك. ألا ترى أن الثلاثة الذين انطبق عليهم الصخر وهم في الغار لم يتوسلوا إلى الله إلّا بأعمالهم التي قدموها، فقال أحدهم: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ فَقُلْتُ اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا فَقَالَ لِي إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ فَقُلْتُ لَهُ اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا...»(تـ١). ففرج الله عنهم.

لم يتوسلوا بنبي ولا بغيره، إنما توسلوا إلى الله بما قدموه من أعمال صالحة.

(تـ١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٣٤٦٥)، ومسلم في صحيحه، (ح: ٢٧٤٣) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

الله لقوله سبحانه: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٥٤].

وأما قوله: بحياة الصالحين غير الأنبياء والشهداء في قبورهم؛ فكذب منه وافتراء.

وقوله: ولهذا أمر النبي ﷺ أن ينادوهم ويخاطبوهم مخاطبة الحاضر مع أنهم غائبون عن الأعين.

فيقال لهذا المبطل: الذي أمر به النبي ﷺ أمته وشرعه لهم عند زيارة القبور حجة عليك كافية في إبطال مذهبك، هل فيما شرعه النبي ﷺ حرف واحد يتضمن دعاءهم والطلب منهم والاستغاثة بهم؟! بل ليس فيها ما يتضمن سؤاله بهم. فليتأمل طالب الحق جميع ما جاء عن النبي ﷺ مما كان يقول إذا زارها، وما أمر به أمته عند زيارتها، هل يجد فيها حرفًا واحدًا مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم يجدها مخالفة لما هم عليه من جميع الوجوه؟ فمضمون الزيارة التي شرعها ﷺ تذكر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له، فبدَّل هؤلاء المشركون قولا غير الذي قيل لهم، وغيروا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت بالاستغاثة به وسؤال قضاء الحاجات وتفريج الكربات والنصر على الأعداء واستنزال البركات.

وقوله: ولهذا أمر النبي ﷺ أن ينادوهم ويخاطبوهم مخاطبة الحاضر.

فيقال له: وهل في خطابهم لهم طلب حاجة منهم أو طلب الدعاء منهم؟ أو المخاطب الزائر المسلم هو الذي يدعو لهم ويستغفر لهم ويترحم عليهم

ويسأل الله لهم العافية. فهل في ذلك إلا ما هو حجة عليك؟!

ثم يقال لهذا المتخرص: هذا هدي رسول الله ﷺ وسنته مع الأموات في دعائه لهم في الصلاة على جنائزهم، وعند دفنهم وعند زيارتهم، هل تجد فيها حرفًا واحدًا يوافق دعواك في طلب الحاجات من الأموات والغائبين؟ ودعواك أن الله أمر بذلك بقوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥]. فكأنَّ النبي ﷺ ما علم من معنى الوسيلة ما علمت؟ أو أنه علم ذلك ولم يدل عليه بحرف واحد!.

وكذلك أصحابه من بعده عند إتيانهم إلى قبره صلوات الله وسلامه عليه لا يزيدون على مجرد السلام عليه وعلى صاحبيه كما تقدم عن ابن عمر وأنس وغيرهما، وما تقدم عن أهل بيته ﷺ من إنكار علي بن الحسين زين العابدين على الذي يدعو الله عند قبره ﷺ، وقول الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب للذي قال: سلمت على النبي ﷺ، وقال له: إذا دخلت المسجد فسلم - وفي رواية - فنهاه، واستدل بقوله ﷺ: «**لا تَتَّخِذُوا بَيْتِي عِيدًا...**». الحديث وتقدم.

أفخفي على هؤلاء السادة ما فهمه هذا وأشياعه من قول الله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥]. وما فهمه من حديث الأعمى وغيره؟! ولكن بهذا ونحوه يظهر مصداق قوله ﷺ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...**»(م١).

وقد أخبر الله - سبحانه - عن أهل الكتاب قبلنا بالغلو والكذب وتحريف الكلم عن موضعه.

(م١) سبق تخريجه.

وما ذكره المعترض عن عتبه بن غزوان فهو مثل الذي قبله، لقوله فيه: **«فَإِنَّ لِلهِ عِبَادًا لا نَرَاهُمْ»**، ولفظه: **«إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْنًا وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ، فَلْيَقُلْ: يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي، يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي، فَإِنَّ لِلهِ عِبَادًا لا نَرَاهُمْ»**(م١).

قال المعترض: فهب أن عباد الله المدعوين حاضرون كما قال، ولكن إذا لم يرهم الداعي لهم كيف يهتدي إلى الطريق وهو لم يرهم؟

فيقال: قولك هذا اعتراض منك على ما استدللت به.

ونقول له: قد تحصل الهداية بإشارة أو علامة ترفع له، أو يكونون من جنس الملائكة الذين يلقون في قلب ابن آدم، فكل هذا جائز إن صح الأثر.

فانظر تسميته النداء دعاء في ثلاثة مواطن من هذا المحل!! وهو يقول: إن طلب المخلوق من المخلوق لا يسمى دعاء بل نداء، فتناقض، وهذا من سنة الله - سبحانه - في المبطل أنه يتناقض.

واحتج أيضا بما رُوي أن رجلا جاء إلى قبر النبي ﷺ فشكا إليه الجدب عام الرمادة، فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج فيستسقي بالناس. هذا لفظه في اقتضاء الصراط المستقيم.

(م١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (ح: ٢٩٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد، (ح: ١٧١٠٣) من حديث عتبة بن غزوان رضي الله عنه.

قال الشيخ رحمه الله: ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبي ﷺ وأعرف من هذا وقائع، - قال - وليس هو مما نحن فيه - قال - وهذا القدر إذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر، أما أنه يدل على حسن حال السائل فلا، ففرقٌ بين هذا وهذا. انتهى(م١).

وهذه الحكاية التي احتج بها هذا المبطل هي حجة عليه في قوله: إن ما جاز أن يطلب منه في حياته ﷺ جاز أن يطلب منه بعد موته. وهو ﷺ لما كان حيا معهم على وجه الأرض إذا طلبوا منه أن يستقي لهم يستسقي بنفسه، لا يقول: اذهبوا إلى فلان ليستسقي لكم. وفي هذه الحكاية لم يقل: أنا أستسقي لكم، بل أمر عمر يخرج بالناس يستسقي لهم، فدل على أن هذا متعذر منه بعد موته ﷺ والصحابة خرجوا إلى الصحراء مع عمر واستسقوا، ولم يأتوا إلى قبره يطلبون منه أن يستسقي لهم كما كانوا يفعلون في حياته، بل ولا جاءوا يستسقون عند قبره.

وقوله: إن صاحب هذه الحكاية صحابي أعلم من سائر علماء المسلمين.

فقوله هذا كذب ظاهر. وهل يعرف اسمه حتى يعرف حاله؟! والمدينة في ذلك الزمان يردُها أهل الآفاق من العرب والعجم والبادية والحاضرة، ولا سُمِّي صاحب هذه الشكوى، ولا يُدرى من هو، فكيف يزكيه هذه التزكية البالغة وهو لا يعرفه؟! والشيخ يقول: ومثل هذا إذا وقع لا يدل على حسن حال السائل(١).

---

(١) لم أعثر على تعليق سماحته.

(م١) يُنظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية: (٢/ ٢٥٤-٢٥٥).

وقوله: إن ابن تيمية ذكر هذه الحكاية - وأنه قال - وهذا حق، ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبي ﷺ، والشيخ ذكر جملة من هذا النوع ثم قال وهذا حق، يعني: وقوع مثل هذا ثابت، ليس مراده أنه صواب كما زعمه هذا.

والشيخ رحمه الله لما قرر أن الدعاء عند القبور بدعة، يعني: قصدها لأجل دعاء الله عندها وأن ذلك منهي عنه، وقرر أن دعاء المقبورين وسؤالهم قضاء الحاجات شرك. قال: ولا يدخل في هذا أن قوما سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين، وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة ونحو ذلك - إلى أن قال رحمه الله - فإن الخلق لم ينهوا عن الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد استهانة بأهلها، بل لما يُخاف عليهم من الفتنة، وإنما تكون الفتنة إذا انعقد سببها، فلولا أنه يحصل عند القبور ما يخاف الافتتان به لما نُهي الناس عن ذلك. وكذلك ما يُذكر من الكرامات وخوارق العادات التي توجد عند قبور الأنبياء والصالحين، مثل نزول الأنوار والملائكة عندها، وتوقي الشياطين والبهائم لها، واندفاع النار عنها وعمن جاورها - إلى أن قال - فجنس هذا حق، وليس مما نحن فيه - إلى أن قال - وكل هذا لا يقتضي استحباب الصلاة عندها، ولا قصد الدعاء والنسك عندها؛ لما في قصد العبادات عندها من المفاسد التي علمها الشارع كما تقدم - قال - فذكرت هذه الأمور لأنها مما يُتوهم معارضتها لما ذكرنا، وليس كذلك.

واحتج المعترض بالحكاية التي ذكرها القاضي عياض في الشفاء: أن

الإمام مالكا رحمه الله تناظر مع أبي جعفر المنصور، فقال مالك: يا أمير المؤمنين، إن الله أدب أقوامًا فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات:٢]. ومدح قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات:٣]. وإن حرمته ميتا كحرمته حيا. فاستكان لها أبو جعفر، وقال: يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ قال مالك: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم، بل استقبله وتشفَّع به. ثم قرأ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤][م١].

ولما ذكر شيخ الإسلام تقي الدين - رحمه الله تعالى - أشياء ذكرها عن السلف عامة وعن مالك خاصة، قال: وهذا الذي ذكرنا عن السلف ومالك يُبين حقيقة الحكاية المأثورة عنه التي ذكرها القاضي عن محمد بن حميد قال ناظر أبو جعفر... إلخ.

قال رحمه الله: فهذه الحكاية على هذا الوجه إما أن تكون ضعيفة أو مغيرة، وإما أن تفسر بما يوافق مذهبه؛ إذ قد يُفهم منها ما هو خلاف مذهبه المعروف بنقل الثقات من أصحابه، فإنه لا يختلف مذهبه أنه لا يستقبل القبر عند الدعاء، وقد نص أنه لا يقف عنده للدعاء مطلقًا، - إلى أن قال - وأما الحكاية في تلاوة مالك هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية،

(م١) يُنظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض: (٢/ ٩٢).

فهو والله أعلم باطل؛ فإن هذا لم يذكره أحد من الأئمة فيما أعلم. ولم يُذكر عن أحد منهم أنه استحب أن يُسأل بعد الموت الاستغفار ولا غيره. وكلامه المنصوص عنه وعن أمثاله ينافي ذلك، وإنما يعرف مثل هذا في حكاية ذكرها بعض المتأخرين من الفقهاء عن أعرابي أنه أتى قبر النبي ﷺ وتلا هذه الآية، وأنشد:

يا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي القاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطابَ مِنْ طِيْبِهِنَّ القاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِي الْفِداءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ ساكِنُهُ ... فِيهِ الْعَفافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ولهذا استحب طائفة من متأخري الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد مثل ذلك، واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي، لا سيما مثل هذا الأمر العظيم الذي لو كان مشروعًا مندوبًا لكان الصحابة والتابعون أعلم به، وأعمل به من غيرهم، بل قضاء الله حاجة هذا الأعرابي وأمثاله له أسباب قد بسطت في غير هذا الموضع. وليس كل من قُضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون ذلك السبب مشروعًا مأمورًا به. فقد كان رسول الله ﷺ يسأل في حياته المسألة فيعطيها لا يردُّ سائلا، وتكون المسألة محرمة في حق السائل، -حتى قال-: «**أَمَا وَاللهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُخْرِجُ مَسْأَلَتَهُ مِنْ عِنْدِي يَتَأَبَّطُهَا؛ يَعْنِي تَكُونُ تَحْتَ إِبْطِهِ، يَعْنِي نَارًا. قَالَ: قَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تُعْطِيهَا إِيَّاهُمْ؟ قَالَ: فَمَا أَصْنَعُ؟ يَأْبَوْنَ إِلَّا ذَاكَ، وَيَأْبَى اللهُ لِي الْبُخْلَ**»(م١).

قال: وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحًا ولا يكون عالمًا

(م١) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ١١٠٠٤) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أنه منهي عنه، فيثاب على حسن قصده ويُعفى عنه لعدم علمه، وهذا باب واسع(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ في أول كلامه: وهذا الذي ذكرناه عن السلف ومالك يبين حقيقة الحكاية المأثورة عنه.

---

(١) حاصل البحث: هو رد على العراقي لما نقل عن الشيخ تقي الدين أنه نقل أن رجلا جاء للقبر ودعا...، وهو يقول: لا شك أنه يشفع، وأن ما قد يوجد عند القبور من أن النار ما تأتي هذه القبور فتنسحب عنها، أو أن البهائم لا تطأها، أو أن الـ [.....]، يقول: هذا كله حق. لكن مراد الحق ليس كما فهمه؛ لأنه لا يلزم منه أنهم يُدعَون من دون الله، وأنهم يُجعلون وسائل، وإن فرضنا مثلا لهم شيء من الكرامات، ورأينا أثاره في الدنيا بعد وفاته لا يلزم منه أن يدعوهم، فمثلا: لو رأينا على هذا القبر نورًا، أو رأينا أنه احترق إلّا هذا القبر انزاحت عنه النار، أو أن البهائم تقترب ولا تطأ هذا القبر، فهل من لازم هذا أننا نتوسل بهذا القبر؟ أو أن نجعله واسطة بيننا وبين الله؟ هذه كرامة، ولا يلزم منه أن يكون هذا سائغ لو فرضنا وجوده، أو مثلا رأينا إنسانًا دعا عند هذا القبر وأجيبت دعوته، فهل إذا رأينا أن هذا أجيبت دعوته عند هذا القبر، هل هذا دليل على شرعية هذا؟ بل الرسول يقول: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَخْرجُ مَسْأَلَتَهُ مِنْ عِنْدِي يَتَأَبَّطُهَا؛ يَعْنِي تَكُونُ تَحْتَ إِبْطِهِ، يَعْنِي نَارًا**». قيل في ذلك، قال: «**يَأْبَوْنَ إِلَّا ذَاكَ، وَيَأْبَى اللهُ لِي الْبُخْلَ**»(تـ١).

ولا ننكر من أنه في أيام الحرة في إمرة مسلم بن عقبة والجيش الذي جهزه يزيد بن معاوية لقتال أهل المدينة نُقل أن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان في قبر النبي ﷺ، يسمع أذانًا في نفس القبر، فهل لو فرض صحته: هل يلزم من هذا أنا ندعوه ونسجد له ونتوجه بمجرد سماع أذان في القبر؟ لو فرضنا هذا صحيح نقول: هذه كرامة للنبي ﷺ أو معجزة، ولكن لا يلزم منه أننا نذبح له وننذر له، هذا هو المعنى.

(تـ١) سبق تخريجه.

فالكلام الذي أشار إليه قوله قبل ذلك: واتفق الأئمة على أنه إذا دعا بمسجد النبي ﷺ لا يستقبل قبره، وتنازعوا عند السلام عليه، فقال مالك وأحمد وغيرهما: إنه يستقبل قبره ويسلم عليه، وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي، وأظنه منصوصا عنه. وقال أبو حنيفة: بل يستقبل القبلة ويسلم عليه. هكذا في كتب أصحابه. وقال مالك فيما ذكره إسماعيل بن إسحاق في المبسوط والقاضي عياض وغيرهما: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو، ولكن يسلم ويمضي. وقال أيضا في المبسوط: لا بأس لمن قَدِمَ من سفر أو خرج أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو له ولأبي بكر وعمر، فقيل له: إن ناسًا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة وأكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة. فقال: لم يبلغنا هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا، ولا يُصلح آخر هذه الأمة إلّا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلّا لمن جاء من سفر أو أراده.

ثم قال الشيخ: فقول مالك في هذه الحكاية إن كان ثابتًا عنه معناه: أنك إذا استقبلته وصليت عليه وسلمت عليه وسألت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة؛ فإن الأمم يوم القيامة يتوسلون بشفاعته، واستشفاع العبد به في الدنيا هو فعل ما يشفع له به يوم القيامة، كسؤال الله له الوسيلة.

وكذلك ما نُقل من رواية ابن وهب: إذا سلم على النبي ﷺ، ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدعو ويسلم. يعني دعا للنبي ﷺ وصاحبيه، فهذا هو الدعاء المشروع هناك، كالدعاء عند زيارة قبور المسلمين وهو الدعاء

لهم؛ فإن أحق الناس أن يُصلى عليه ويُدعى له بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه.

وبهذا تتفق أقوال مالك، ويفرَّق بين الدعاء الذي أحبه والدعاء الذي كرهه وذكر أنه بدعة. انتهى(م١).

ويشهد لذلك ما رواه عبد الرزاق في كتابه، عن معمر عن أيوب عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه(م٢).

قال معمر: وأخبرنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر -قال معمر-: فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر فقال: ما نعلم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلّا ابن عمر.

وقال الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي في كتابه: «الصارم المُنْكِي في الرد على السبكي»: محمد بن حميد راوي هذه الحكاية - أعني حكاية أبي جعفر مع الإمام مالك - هو محمد بن حميد الرازي لا العمري كما ظنه السبكي.

قال: وقد تكلم في محمد بن حميد هذا غير واحد من الأئمة، ونسبه بعضهم

(م١) يُنظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية: (٢/ ٢٥٤-٢٨٩).

(م٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، (ح: ٦٧٢٤)، والبيهقي في سننه الكبرى، (ح: ١٠٢٧١) من حديث نافع موقوفا.

إلى الكذب. قال يعقوب بن شيبة: محمد بن حميد الرازي كثير المناكير. وقال البخاري: حديثه فيه نظر. وقال النَّسائي: ليس بثقة. وقال أبو العباس: محمد بن أحمد الأزدي: سمعت إسحاق بن منصور يقول: أشهد على محمد بن حميد وعبيد بن إسحاق العطار بين يدي الله أنهما كذَّابان. وذكر عن جماعة كثيرة نحو ذلك، فهذا يبين عدم صحة هذه الحكاية، والله أعلم(م١).

وذكر المعترض ما رُوي أن أعرابيًّا جاء إلى قبر النبي ﷺ بعد ثلاثة أيام من دفنه ﷺ ورمى بنفسه، وقال: يا رسول الله، قلتَ فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ الآية، وقد جئتك مستغفرًا لذنبي، فنودي من القبر: غُفِرَ لك.

فيا سبحان الله! يعتمد على حكايةٍ عن أعرابي بغير إسناد في هذا الأمر الذي لوكان مستحبًا أو جائزًا لفعله الصحابة والتابعون، ولو كانوا يفعلون شيئا من ذلك لنقل عنهم لا عن أعرابي وغيره ممن لا تُعرف حاله.

فلو وجدَ الناقلُ لهذه الحكاية شيئا من ذلك عن أحد من الصحابة وعلماء التابعين لكان أولى من نقله عمن لا يعرف بصحبة ولا علم.

وأيضًا فهذه حكايات بغير إسناد معروف، بحيث لو يذكر عن النبي ﷺ أحاديث بغير إسناد معروفٌ رجاله لم يلتفت إليها، مع أنه ليس في هذه الحكاية ونحوها أنه طلب من النبي ﷺ أن يغفر له أو أن يدعو الله له.

(م١) يُنظر: الصارم المُنكي في الرد على السبكي لابن عبدالهادي: (ص٢٦٠).

قال المعترض: ويعضد هذا الأثر المتقدم الذي تلقاه الأئمة بالقبول - يعني أثر العتبي - حتى ابن تيمية مع أنه شدد في ذلك.

فكذب على ابن تيمية في قوله: إنه تلقاه بالقبول، بل ابن تيمية خطَّأ من احتج بحكاية العتبي كما قدمنا عنه. وما رُوي من قول سواد بن قارب:

فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة ... بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فهذا بحضرة النبي ﷺ في حياته كما تقدم من حديث أنس، وكاستشفاع الناس به يوم القيامة. وقوله: أدنى المرسلين وسيلة، فهو كذلك صلوات الله وسلامه عليه؛ لأن الوسيلة هي القربة، والتوسل إلى الله: التقرب إليه بطاعته وإتباع رسوله والاقتداء به، وهذا هو الوسيلة المأمور بها في قوله سبحانه: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾، ومن الوسيلة دعاؤه لهم ﷺ وطلبهم ذلك منه في حياته كما كانوا يطلبون منه أن يدعو لهم ويستسقي لهم كقول عمر: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا**». الحديث[م1].

فهذا من الوسيلة المأمور بها.

واحتج المعترض بما رُوي أنه قيل لابن عمر - حين خدرت رجله -: اذكر أحب الناس إليك. وأن ابن عباس قاله لآخر. فقال أحدهما: محمد. وقال الآخر: يا محمد.

وليس له في هذا حجة على طلب الحاجات من الأموات والغائبين.

(م1) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ١٠١٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

والقائل لم يقل: ادع أحب الناس إليك. والمقول له لم يقل: يا محمد، أزل خدر رجلي. فإن صح الأثر فلعل المعنى في ذلك: أنه توسل إلى الله بمحبة نبيه.

وأحدهما لم يأت بحرف النداء، وذكرها أحدهما، فلعل هذا مثل قولنا: السلام عليك أيها النبي، السلام عليك يا رسول الله. وخدر الرجل من نوع الضر، والمحتج بذلك يحتج به على جواز طلب كشف الضر من النبي ﷺ وغيره، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١﴾ [الجن:٢١]. أي: لا أقدر على كشف ضرٍّ نزل بكم ولا جلب خير إليكم. أي: إن الله يملك ذلك لا أنا. وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦﴾ [الإسراء: ٥٦].

وقد ذكرنا فيما تقدم أن مفسري الصحابة والتابعين ذكروا أن الآية نزلت فيمن يعبد الملائكة والمسيح وأمه وعزيرًا والجن. والآية تعم كل مدعو من دون الله[١].

فإذا كان الملائكة الذين يكونون وسائط فيما يقدِّره الله بأفعالهم لا يملكون كشف الضر عمن دعاهم، ولا تحويله من حال إلى حال؛ فغيرهم أولى.

فإذا كان هؤلاء المذكورون لا يستجيبون لمن دعاهم فهم داخلون تحت قوله

(١) لم أعثر على تعليق سماحته.

تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وغيرها من الآيات، فكيف تعارض نصوص القرآن بمثل ذلك؟!.

ومضمون دعوى المحتج بذلك: أن الشفاء يطلب من النبي ﷺ، وكان في رقية النبي للمريض: «**اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ**»(م١).

فالمحتج بهذا الأثر على ما ادعاه معارض لنصوص القرآن والسنة، مكذب لله ورسوله فيما ذكرنا من الآيات والحديث. ولو قال من خدرت رجله: أعوذ برسول الله ﷺ من شر ما أجد؛ صار مستعيذًا بمخلوق.ونص العلماء أن الاستعاذة لا تجوز بمخلوق، والاستعاذة نوع من الدعاء كما مر تقريره.

فلو قال من أصابه ما يكره: أعوذ بمحمد مما أجد، وأسأله كشف ما أجد، أو أشكو إليه ما أجد، كان المعنى في جميع هذه العبارات واحدا، إذ المعنى: أطلب إزالة ذلك من النبي ﷺ.

وابن القيم ذكر هذا الأثر، فلو كان فيه شبهة تعارض ما كان يقرره من أن دعاء غير الله والاستغاثة به شرك لبين ذلك.

ورأيت من جملة فتاوى للقاضي أبي يعلى؛ منها: أنه سئل عمن يقول يا محمد، يا علي، فقال: هذا لا يجوز؛ لأنهما ميتان.

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٥٦٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقول المعترض: أوليس ابن تيمية قد عذر المتأول والمقلد، وقال: إنه يُغفر للجاهل ما لا يُغفر لغيره.

فيقال لهذا: إنما يورد كلام الشيخ هذا من يوافق الشيخ على تحريم الاستغاثة بالنبي ﷺ وغيره من الأموات، وأن ذلك شرك. ثم يقول: لعله يغفر للجاهل ونحوه.

وأما من ينكر قول الشيخ في ذلك، ويبدِّع من قال بقوله أو يكفره فلا يتوجه له القول بعذر المذكورين؛ لأنه يقول: إنهم غير مخطئين، بل مأجورين لامتثالهم أمر الله في قوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ في زعم هذا المحرف لكلام الله، فلا وجه لطلب العذر لهم.

وما قاله الشيخ رحمه الله في هذا الباب - أعني باب التوحيد - ليس باجتهاد منه، لكنه بين ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع العلماء، فرحمه الله ورضي عنه. والشيخ قال: وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحا ولا يكون عالما أنه منهي عنه، فيثاب على حسن قصده ويُعفى عنه لعدم علمه، وهذا باب واسع(م١).

قال: ويُغفر للجاهل ما لا يُغفر لغيره(م٢). مراده في الجملة لا في التفصيل، ولهذا قال رحمه الله في شرح العمدة في أثناء كلام سبق: فكل ردٍّ لخبر الله أو أمره

(م١) يُنظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية: (٢/ ٢٩٠).

(م٢) يُنظر: المصدر السابق (٢/ ٢١٧).

فهو كفر دق أو جل، لكن يعفى عما قد خفيت فيه طرق العلم، وكان أمرا يسيرا في الفروع، بخلاف ما ظهر أمره وكان من دعائم الدين من الأخبار والأوامر.

وقد قال رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الشرك لا يغفر ولو كان أصغر. ونقل ذلك عنه تلميذه صاحب الفروع -فيه قال-: ذلك والله أعلم لعموم قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨].

وقال في الرسالة السَّنية: فكل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعا من الإلهية، مثل: أن يدعوه من دون الله؛ بأن يقول: يا سيدي فلان، أغثني، أو اجبرني، أو توكلت عليك، أو أنا في حسبك؛ فكل هذا شرك وضلال، يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلّا قتل.

وكذلك قال في مسألة الوسائط: إن فاعل ذلك يستتاب فإن تاب وإلّا قتل(م١).

وعموم قول الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨]، يتناول كل مشرك. والفقهاء من جميع المذاهب يذكرون في باب حكم المرتد: أن من أشرك بالله كفر، ويحتجون بهذه الآية ونحوها، ولم يخرجوا الجاهل من العموم، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ ﴾ [الكهف]. وقال: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف:٣٠]. قال ابن جرير: وهذا من أبين الدلالة على خطأ

(م١) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٣/ ٣٩٥).

قول من زعم أن الله لا يعذِّب أحدًا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها، إلّا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها، فيركبها عنادًا منه لربه فيها؛ لأن ذلك لو كان كذلك، لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه هاد وفريق الهدى فرق، وقد فرَّق الله بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية. انتهى[(م١)].

وليس كلامنا في هذا الموضع في هذه المسألة، وإنما الكلام مع هؤلاء الضلَّال الدعاة إلى الشرك الملبِّسين على الناس دينهم المفترين على الله الكذب المضلين للناس بغير علم.

وذكر المعترض أن في تاريخ ابن كثير أن الصحابة كان شعارهم في الحرب: يا محمد. وفي تاريخ آخر أن بعض المسلمين من التابعين أسرهم الكفار وألقوهم في القدور، فنادوا: يا محمداه. وأن خبيبا رضي الله عنه لما مثل به الكفار قال: يا محمد.

فهذه هي وأشباهها حجة هذا المبطل وشيعته، وهذه التواريخ وأشباها فيها الصدق والكذب، وأكثرها يُحكى بغير إسناد، ولو كان ما ذكر في هذه التواريخ ونحوها حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم بغير سند متصل صحيح لم يُحكم به في فِلس.

والحكاية الأولى أن هذا كان شعارهم في الحرب، لم يقل: إنهم كانوا يستغيثون به في الحرب، ولا أنهم يدعونه، بل قال: هذا شعارهم في الحرب. فلا

(م١) يُنظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير: (١٢/ ٣٨٨).

شبهة لك فيه؛ لأنهم كانوا يستعملون الشعار في الحرب باسم أو كلمة ليعرف بعضهم بعضا، كما روي إن بنيتم فليكن شعارهم «**حم لَا يُنْصَرُونَ**»(م١)، وفي بعضها: «**أَمِتْ أَمِتْ**»(م٢).

وما ذكر عن الذين كانوا في زمن التابعين أنهم قالوا: يا محمداه؛ حكاية بغير إسناد عمن لم يعرف من هم.

وما حكي أن خُبيبا قال: يا محمد؛ إن صح فهذا ونحوه يقوله الإنسان توجعا لفراق حبيبه، ولا يشك عاقل أن خُبيبا وأشباهه لا يستغيثون بالنبي ﷺ في تلك الحال وهو لا يسمع كلامهم، كيف وقد قال لهم ﷺ لما استغاثوا به على رجل عنده في المدينة، قال: «**لَا يُقَامُ لِي، إِنَّمَا يُقَامُ لله**»!(م٣). ولكن صاحب الباطل يروج على الناس ويلبِّس عليهم بكل ما يقدر عليه، ولولا إتباع الهوى ما عارض بحكاية عن أعرابي، أو عن تاريخ لا يعرف غثه من سمينه، مع أنه ليس له فيما يحكيه حجة على باطله، ومع ذلك يعارض به نصوص القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[يونس:١٠٦]. ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥]

(م١) أخرجه أبو داود في سننه، (ح: ٢٥٩٧)، والترمذي في جامعه، (ح: ١٦٨٢) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(م٢) أخرجه أبوداود في سننه، (ح: ٢٥٩٦)، والبيهقي في سننه الكبرى، (ح: ١٨٠٩٦) من حديث المهلب بن أبي صفرة موقوفا.

(م٣) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ٢٢٧٠٦) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]. فإذا كان الملائكة المقربون لا يملكون كشف الضر عمن دعاهم ولا تحويله، فنبينا ﷺ كذلك لا يكشف الضر عمن دعاه ولا تحويله، فلو كان يملك شيئا من ذلك لطلب أصحابه الذين هم أعلم الناس بالله وبرسوله وبدينه ذلك منه، مع أن عموم هذه الآيات وغيرها تتناوله كغيره، لا يشك في هذا عاقل سليم الفطرة فضلا عن العالم المنصف، هذا مع قوله سبحانه في حق نبينا خاصة ما ذكره في كتابه؛ كقوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:١٨٨]، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن:٢١]، أي: لا أقدر على كشف ضر نزل بكم ولا إيصال نفع إليكم، أي: لا يملك ذلك إلّا الله. فمن زعم أن غير الله يُطلب منه ذلك فهو مكذب لله، وجاعل له شريكا في ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (١).

قال المعترض: فدل على أن نداء النبي ﷺ في الشدائد أمر معهود، يعني: الاستغاثة به ﷺ، وإنما عبر بالنداء طردًا لقوله الباطل المتناقض: إن طلب المخلوق من المخلوق يسمى نداء لا دعاء.

(١) حاصل هذا: هو معنى ما تقدم من أن الاستغاثة لا تكون إلّا بالله، وما أورده المعترض هنا من أن الصحابة كانوا يقولون في مغازيهم: يا محمد يا محمد، وأن التابعين يقولون في حروبهم: يا محمد يا محمد، وهو قد مات. يقول المصنف هذا كله كذب لا أصل له، ثم أخبار التاريخ لا يحكم بها ولا يأتي [.....]، فضلا أن تكون دليلا في مثل هذه الأمور المهمة؛ فإن هذا الشيء لم يُروى بسند صحيح معتمد، وما كان الصحابة رضي الله عنهم يقولون في حروبهم يا محمد أبدًا، وأنه ثبت ذلك عنهم بسند صحيح مروي متصل، إنما هذا من أقوال المؤرخين التي رووها بدون إسناد وبدون دليل بالكلية.

وقد بينا بطلان قوله هذا، ومخالفته للكتاب والسنة وإجماع العلماء والنحويين، وأن الدعاء بطلب رفع المكروه أو دفعه يُسمى استغاثة كما يسمى دعاء.

فلما قال: إن نداء النبي ﷺ في الشدائد أمر معهود، يعني: أنه يطلب منه ﷺ كشف الشدائد، فهذا حقيقة الاستغاثة، فليسمه المبطل نداء أو طلبًا أو توسلًا أو تشفعًا أو ما شاء من الأسماء؛ فإن ذلك لا ينفعه ولا يغير الحكم، فهذا الضال يزعم أن الاستغاثة بالنبي ﷺ في الشدائد بعد موته أمر معهود؛ يعني معروف مشهور معمول به عند الصحابة والتابعين.

فجعل هذا الصحابة والتابعين أشد غلوًّا في النبي ﷺ من المشركين الأولين في الملائكة والأنبياء والجن والأصنام؛ لأن الله - سبحانه - أخبر في كتابه أن المشركين يخلصون الدعاء لله في حال الشدة، وينسون آلهتهم من الملائكة والأنبياء والجن والأصنام، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]. وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام:٤٠، ٤١].

وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم:٣٣]. ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [يونس:١٢].

وقول هذا الرجل فيما تقدم: إن الله أمر بالطلب من الأموات والغائبين عام في الأوقات والأحوال والأشخاص، فيا لله لعقول ضلت حين لم يتبين لها ضلال! هذا في غالب كلامه وخاصة في قوله: إن الله أمر بطلب الحاجات من الأموات والغائبين. فكما قدمنا: إذا كان الله يحب ذلك لأمره به في زعم هذا الضال، فالأولى ملازمة ذلك في الشدة والرخاء؛ محافظة على ما يحبه الله في جميع الحالات. والموحدون يقولون: الواجب على الناس إخلاص الدعاء لله وحده في الرخاء والشدة، فلا يسأل إلّا هو وحده، ولا تطلب الحاجات إلّا منه، ولا يرغب إلّا إليه وحده. والمشركون الذين كانوا في زمن النبي ﷺ يخلصون الدعاء لله في الشدة وينسون غيره، ونصوص القرآن ناطقة بذلك.

وهذا الملحد يقول: الاستمرار على الطلب من الأموات والغائبين في جميع الحالات أولى؛ لأن الله يحب ذلك؛ لأنه من الوسيلة التي أمر الله بها، فالمحافظة على ما يحبه الله أولى من الغفلة عما يحبه سبحانه وتعالى. فيا سبحان الله! كيف يلتبس أمر هذا على عاقل سليم الفطرة؟!.

وما ذكره من قول صفية: ألا يا رسول الله كنت رجاءنا. فهذه حال من يبكي شخصا ويرثيه، يخاطبه مخاطبة الحاضر، وتذكر حاله ﷺ معهم؛ لأنه القائم بأمورهم، فهو أبوهم خاصة وأبو المؤمنين عامة: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦]. صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين.

وقد حمى النبي ﷺ جناب التوحيد أبلغ حماية حتى قال: «**لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**»(م١). وقال: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ**»(م٢). وقال للذي قال له ما شاء الله وشئت: «**أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا**»(م٣).

فوازن بين قوله لمن قال: ما شاء الله وشئت: أجعلتني لله ندا، وبين قول هذا الضال: إنه يستغاث به في الشدائد، أليس هذا أولى بأن يقال له أجعلتني لله ندا؟ وقد قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل:٦٢]، أي: أءله مع الله يفعل هذا؟ والذي يقول: إنه يستغاث بالنبي ﷺ في الشدائد بقوله: إن نداء النبي ﷺ في الشدائد أمر معهود، يقول: إنه يجيب المضطر ويكشف السوء وإلّا كانت الاستغاثة به عبثًا باطلًا. والمشركون يعترفون بأنه لا ينجي من الشدائد والضرورات إلّا الله، ولهذا يخلصون الدعاء لله في هذه الأحوال لعلمهم أنه لا ينجي منها إلّا الله، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [لقمان:٣٢]. قال البيضاوي: «دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد»(م٤). وقال أيضا على قوله: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت:٦٥]؛

(م١) أخرجه البزار في مسنده، (ح: ٥٠٩) من حديث علي بن أطالب رضي الله عنه.

(م٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، (ح: ٢١١٨)، والدارمي في مسنده، (ح: ٢٧٤١)، واللفظ له، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(م٣) سبق تخريجه.

(م٤) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، (٤/ ٢١٧).

أي: كائنين في صورة من أخلص دينه من المؤمنين، حيث لا يذكروا إلّا الله ولا يدعون سواه؛ لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلّا هو سبحانه. انتهى[م١].

وقال النبي ﷺ لحصين بن المنذر: «**كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟ قَالَ: سَبْعَةً، سِتةً فِي الْأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ: فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ**»[م٢]. ولما أقبل أبرهة على مكة وهرب أهلها منها خوفا منه قام عبد المطلب ونفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة، وأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وهو يقول:

يا رب لا أرجو لهم سواك ... يا رب فامنع منهم حماك
إن عدو البيت من عاداك ... فامنعهم أن يخربوا قراك

وإخبار الله - سبحانه - عنهم بالإخلاص في الكرب والشدائد كاف. فيا سبحان الله!! هؤلاء المشركون الذين نزل القرآن بتكفيرهم، وإباحة دمائهم وأموالهم للمسلمين؛ يعلمون بقلوبهم ويقرون بألسنتهم بأنه لا يكشف الشدائد إلّا الله، ويفزعون فيما يهمهم إلى الله وحده، ويتركون الوسائط الذين اتخذوهم شفعاء لهم عند الله، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝٤١﴾ [الأنعام]. وهذا الرجل الذي يُسمى عالما يقول: إنه

(م١) يُنظر: المصدر السابق (٤/ ١٩٩).

(م٢) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ٣٤٨٣) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

يطلب من النبي ﷺ كشف الشدائد وإنه يكشفها. فلولا أنه يقول: إنه يكشفها، لِمَ يجوِّز طلب كشفها منه؟ وكان طلب ذلك منه عناء بلا فائدة[1].

ثم زعم أن الاستغاثة به ﷺ في الشدائد أمر مشهور معمول به عند الصحابة والتابعين. فنسب إلى خير القرون ما هم أبعد الناس عنه، ويكفي في إبطال شبهه كلها قول الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ١٨٨]، ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن:٢١] وهذا في حال حياته ﷺ فكيف الحال بعد الموت؟.

وهو أيضا لم يقتصر على النبي ﷺ، كما قرر في أوراقه هذه أن الله أمر بطلب الحاجات من الأموات، وأنهم أحياء في قبورهم، مع ما ضم إلى ذلك من دعواه إثبات التصرف المطلق للنبي وغيره في يوم القيامة، ودعواه علم الغيب للنبي ﷺ، وما تضمنه كلامه من الكذب على الله وعلى رسوله وعلى العلماء، كما بينا بعض ذلك فيما تقدم، وكذا ما في كلامه من التناقض والمعارضة الصريحة لكلام الله ورسوله، ثم العجب ممن تلقى كلامه بالقبول ولا رأوا بعض ما فيه من الفضائح التي ينكرها العامي سليم الفطرة، ولكن الأمر كما قيل باطل وافق هوى، والهوى يعمي ويصم. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

ولنختم هذا الجواب بتلخيص فصل من «إغاثة اللهفان» لشمس الدين

---

(١) لم أعثر على تعليق سماحته.

ابن القيم - رحمه الله تعالى - قال بعد كلام سبق: ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور، وما أمر به وما نهى عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم؛ رأى أحدهما مضادًا للآخر مناقضًا له، بحيث لا يجتمعان أبدًا.

فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور وهؤلاء يصلون عندها!! ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها مساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله!! ونهى عن إيقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها!! ونهى أن تتخذ عيدًا وهؤلاء يتخذونها أعيادًا ويجتمعون أيامًا كاجتماعهم للعيد أو أكثر!! وأمر بتسويتها كما روي مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **«أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»**[م١]. وفي صحيحه عن ثمامة بن شُفَيٍّ قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم بِرُودِسَ، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسوي، ثم قال: **«سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا»**[م٢].

وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها من الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب!! ونهى عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبني عليه، ونهى عن الكتابة عليه كما روى أبو داود في سننه عن جابر أنه ﷺ:

(م١) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٩٦٩) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(م٢) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٩٦٨) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

«**نَهَى أَنْ تُجَصَّصَ الْقُبُورُ وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا**»(م١). قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره!! ونهى أن يزاد عليها غير ترابها كما روى أبو داود من حديث جابر أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**أَوْ يُزَادَ عَلَيْهِ**»(م٢). وهؤلاء يزيدون عليه سوى التراب الآجر والأحجار والجص.

إلى أن قال: فانظر إلى هذا التباين العظيم: بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه. ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العد عن حصره؛ فمنها: تعظيم الموقع في افتتان بها من العكوف عليها والمجاورة عندها، وتعليق الستور عليها وسدانتها، وعبَّادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند البيت الحرام، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد، والويل عندهم لقيِّمها ليلة يطفأ القنديل المعلق عليها، ومنها النذر لها ولسدنتها.

ومنها: اعتقاد المشركين بها أن بها يُكشف البلاء، وينصر على الأعداء، ويُستنزل غيث السماء، وتفرج الكربات، وتقضى الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف إلى غير ذلك.

(م١) أخرجه أبو داود في سننه، (ح: ٣٢٢٥)، والترمذي في جامعه، (١٠٥٢)، واللفظ له، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(م٢) أخرجه أبو داود في سننه، (ح: ٣٢٢٦) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

ومنها: الدخول في لعنة الله ورسوله باتخاذ المساجد عليها وإيقاد السرج.

ومنها: الشرك الأكبر الذي يُفعل عندها.

ومنها: إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم؛ فإنهم يؤذيهم ما يُفعل عند قبورهم، ويكرهونه غاية الكراهة.

ومنها: مشابهة اليهود والنصارى في اتخاذ المساجد والسرج عليها.

ومنها: محادة الله ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها.

ومنها: إماتة السنن وإحياء البدع.

ومنها: أن الذي شرعه رسول الله ﷺ عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له. فيكون الزائر محسنًا إلى نفسه وإلى الميت. فقلب هؤلاء المشركون الأمور وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود من الزيارة: الشرك بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤاله حوائجهم واستنزال البركات منه، ونصره لهم على الأعداء ونحو ذلك، فصاروا مسيئين إلى نفوسهم وإلى الميت.

فاسمع الآن زيارة أهل الإيمان التي شرعها الله على لسان رسول الله ﷺ، ثم وازن بينها وبين زيارة أهل الشرك التي شرعها لهم الشيطان واختر لنفسك.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا كان ليلتي منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ،**

غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ». رواه مسلم في صحيحه(م١).

وعنها أيضا: أن جبريل أتاه فقال: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ، فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: قُولِي «السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا، وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ»(م٢)(١).

وفي صحيحه أيضا عن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ - وفي لفظ - السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ»(م٣).

وعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا»(م٤).

وكان رسول الله ﷺ قد نهى الرجال عن زيارة القبور سدًّا للذريعة، فلما

---

(١) لم أعثر على تعليق سماحته.

(م١) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٩٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(م٢) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٩٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(م٣) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٩٧٥) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(م٤) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ٢٣٥١٩)، واللفظ له، والطبراني في الكبير، (ح: ١١٦٥٣).

تمكّن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه ونهاهم أن يقولوا هُجرًا. فمن زارها على غير الوجه المشروع الذي يحبه الله ورسوله فإن زيارتها غير مأذون فيها. ومن أعظم الهُجر الشرك عندها قولاً وفعلًا.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله ﷺ: «**زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ**»(م١).

وعن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ**»(م٢).

وعن ابن عباس قال: «مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه، فقال: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ**»(م٣).

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ**»(م٤).

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً**»(م٥).

(م١) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٩٧٦).

(م٢) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ١٢٣٦)، واللفظ له، وعبدالرزاق في مصنفه، (ح: ٦٧٠٨).

(م٣) أخرجه الترمذي في جامعه، (ح: ١٠٥٣)، والطبراني في الكبير، (ح: ١٢٦١٣).

(م٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، (ح: ١٥٧١).

(م٥) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ١١٥٠٤)، واللفظ له، والحاكم في مستدركه، (ح: ١٣٨٧).

فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ لأمته وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئا مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟

وما أحسن ما قال الإمام مالك بن أنس - رحمه الله تعالى -: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها(م١).

ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم؛ عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك.

ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلَّم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا.

قال سلمة بن وردان: رأيت أنس مالك يسلم على النبي ﷺ، ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو.

ونص على ذلك الأئمة الأربعة: أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر؛ فإن الدعاء عبادة، وفي الترمذي وغيره: «**الدُّعاءُ هو العِبادةُ**»(م٢). فجرد السلف الصالح العبادة لله، ولم يفعلوا عند القبور منها إلّا ما أذن فيه رسول الله ﷺ من السلام على أصحابها والاستغفار لهم والترحم عليهم.

(م١) يُنظر: تنقيح تحقيق أحاديث التعليق لابن عبدالهادي الحنبلي: (٣/ ٤٢٣).

(م٢) سبق تخريجه.

وبالجملة فالميت قد انقطع عمله فهو محتاج إلى من يدعو له ويشفع له. ولهذا شُرع في الصلاة عليه من الدعاء له وجوبًا أو استحبابًا ما لم يُشرع مثله في الدعاء للحي.

قال عوف بن مالك: «صلى رسول الله ﷺ على جِنازة، فحفظت من دعائه وهو يقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**». حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت؛ لدعاء رسول الله ﷺ على ذلك الميت»(م١).

وقال أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول في صلاته على الجنازة: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّهَا، وَأَنْتَ خَلَقْتَهَا، وَأَنْتَ هَدَيْتَهَا لِلْإِسْلَامِ، وَأَنْتَ قَبَضْتَ رُوحَهَا، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسِرِّهَا وَعَلَانِيَتِهَا، جِئْنَا شُفَعَاءَ فَاغْفِرْ لَهُ**»(م٢).

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ**»(م٣).

وقالت عائشة وأنس عن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ**

(م١) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٩٦٣).

(م٢) أخرجه أبو داود في سننه، (ح: ٣٢٠٠)، وأحمد في المسند، (ح: ٨٧٥١).

(م٣) أخرجه أبو داود في سننه، (ح: ٣١٩٩)، وابن ماجه في سننه، (ح: ١٤٩٧).

الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ»(م١).

وعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»**(م٢).

فهذا مقصود الصلاة على الميت وهو الدعاء والاستغفار والشفاعة فيه. ومعلوم أنه في قبره أشد حاجة منه على نعشه، فإنه حينئذ معرَّض للسؤال وغيره، وقد كان رسول الله ﷺ يقف على القبر بعد الدفن فيقول: **«سَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»**(م٣). فعُلم أنه أحوج إلى الدعاء بعد الدفن.

فإذا كنا على جنازته ندعو له لا ندعو به ونشفع له لا نستشفع به، فبعد الدفن أولى وأحرى، فبدَّل أهل الشرك والبدع قولًا غير الذي قيل لهم، بدّلوا الدعاء له بدعائه نفسه، والشفاعة له بالاستشفاع به، وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحسانًا إلى الميت وإحسانًا إلى الزائر وتذكيرًا بالآخرة؛ سؤال الميت والإقسام به على الله، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة، وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه في المساجد وأوقات الصلوات.

(م١) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٩٤٧).

(م٢) أخرجه مسلم في صحيحه، (ح: ٩٤٨).

(م٣) أخرجه أبو داود في سننه، (ح: ٣٢٢٠)، والبيهقي في سننه الكبرى، (ح: ٧٠٦٤) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ومن المحال أن يكون دعاء الموتى أو الدعاء بهم أو الدعاء عندهم مشروعًا وعملًا صالحًا، وتُصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ ثم يرزقه الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون.

فهذه سنة رسول الله ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، هل يمكن بشرٌ على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع، أنهم كانوا إذا كانت لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها، وتمسحوا بها، فضلًا عن أن يصلوا عندها، أو يسألوا الله بأصحابها أو يسألوهم حوائجهم!؟ فليوقفونا على أثر واحد أو حرف واحد في ذلك، بل يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك، وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان أكثر، حتى لقد وُجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك، بل فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمناه في الأحاديث المرفوعة، - قال -: ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله، وما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره؛ علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلف من البعد أبعد مما بين المشرق والمغرب، وأنهم على شيء والسلف على شيء كما قيل:

سَارَتْ مُشَرِّقَةً وَسِرْتُ مُغَرِّبًا ... شَتَّانَ بَيْنَ مُشَرِّقٍ وَمُغَرِّبِ

والأمر - والله - أعظم مما ذكرنا.

وقد ذكر البخاري في صحيحه عن أم الدرداء قالت: دخل علي أبو الدرداء مغضبا، فقلت: مالك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم من أمر محمد إلّا أنهم يصلون جميعا[م١].

وروى مالك في الموطأ عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال: ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة. يعني الصحابة رضي الله عنهم[م٢].

وقال الزهري: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: ما أعرف شيئًا مما أدركت إلّا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت. ذكره البخاري[م٣]. - وفي لفظ آخر - ما كنت أعرف شيئا على عهد رسول الله ﷺ إلا قد أنكرته اليوم.

وقال الحسن البصري: سأل رجل أبا الدرداء فقال: رحمك الله، لو أن رسول الله ﷺ كان حيا بين أظهرنا هل كان ينكر شيئا مما نحن عليه؟ فغضب واشتد غضبه، فقال: وهل كان يعرف شيئا مما أنتم عليه؟!

وقال المبارك بن فضالة: صلى الحسن الجمعة وجلس يبكي، فقيل له: ما يبكيك يا أبا سعيد؟ فقال: تلومونني على البكاء !! ولو أن رجلا من المهاجرين

(م١) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٦٥٠).
(م٢) أخرجه مالك في الموطأ، (ح: ٨).
(م٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (ح: ٥٣٠).

اطّلع من باب مسجدكم ما عرف شيئا مما كان عليه على عهد رسول الله ﷺ أنتم عليه إلّا قبلتكم هذه(م١). وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم(١).

تم الكتاب

---

(١) رحمه الله، أجاد وأفاد رحمة الله عليه، قد أورد كثيرًا من شبه العراقي وأجاب عنها بعبارات واضحة، والمعنى كله متقارب في ما نقل عن ابن القيم، وبين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية وما كان عليه الصحابة، ثم تغيرت الأمور وتبدلت الأحوال، حتى في أواخر عهد الصحابة أنكروا ما كان عليه الناس، وقالوا: لم نعرف مما كنتم عليه إلّا هذه القبلة؛ لأن كل شيء قد تغير حتى في [.....] قال: نعم ما أنتم على شيء مما كان عليه النبي وأصحابه، بل لو اطلع علينا رجل من المهاجرين ما عرف ما أنتم عليه سوى هذه القبلة، أي: الصلاة مع أنكم قد ضيعتموها.

(م١) يُنظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم: (١/ ١٩٥-٢٠٦).

فهرس المصادر والمراجع

١-[الرد على البكري - ابن تيمية] تلخيص كتاب الاستغاثة، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، تحقيق: محمد علي عجال.

٢-الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٣-إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤-اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٥- أمراض القلب وشفاؤها، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ.

٦- الأموال لابن زنجويه، المؤلف: أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه (المتوفى: ٢٥١هـ)، تحقيق الدكتور: شاكر ذيب فياض الأستاذ المساعد، بجامعة الملك سعود، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٨- بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

٩- التفسير البسيط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من

الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٠- تفسير الجلالين، المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى.

١١- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ.

١٢- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

١٣- تنقيح تحقيق أحاديث التعليق، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، (المتوفى: ٧٤٤ هـ)، تحقيق أيمن صالح شعبان، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٩٩٨م.

١٤- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٥- جامع الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

١٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٧- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: عبدالرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي (المتوفى: ٦٦١هـ)، دراسة وتحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

١٨- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٩- سنن ابن ماجه ،المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمد كامل قره بللي، عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

٢٠- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق:

شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢١-السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٢٢-شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، المؤلف: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: ٩٠٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٢٣-شرح الكوكب المنير، المؤلف: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢هـ)، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢٤-الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤٠٩هـ.

٢٥- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الناشر: دار الفيحاء، عمان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ.

٢٦- الصارم المُنكي في الرد على السبكي، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤هـ)، تحقيق: عقيل بن محمد اليماني، الناشر: مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٢٧- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، المؤلف: شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٨- الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٢٩- العدة في أصول الفقه، المؤلف : القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى : ٤٥٨هـ)، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د. أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض، جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الثانية ١٤١٠هـ.

٣٠- العظمة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣١- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ.

٣٢- الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، المؤلف: ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (المتوفى: ٨٢٦هـ)، المحقق: محمد تامر حجازي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٣٣- الفتاوى الكبرى، المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٤- الفتح المبين بشرح الأربعين، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (المتوفى: ٩٧٤هـ)، وعليه حاشية حسن بن علي المدابغي (المتوفى: ١١٧٠هـ) على الفتح المبين، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، عام النشر: ٢٠٠٧م.

٣٥- الفردوس بمأثور الخطاب، المؤلف: شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلمي الهمذاني، (المتوفى: ٥٠٩هـ)، المحقق:

السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٣٦- الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث، المؤلف: أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، (المتوفى: ٣٦٥ هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.

٣٧- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٨- الكتاب، المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٣٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٤٠- كشف الشبهات، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٤١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٤٢- اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٤٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٤٤- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٤٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٤٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل(تفسير النسفي)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٧- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٨- مسائل لخصها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من كلام ابن تيمية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الثاني عشر)، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤٩- المستدرك على الصحيحين للحاكم، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المحقق: مقبل بن هادي الوادعي، دار النشر: دار الحرمين، القاهرة، سنة الطبع: ١٤١٧هـ.

٥٠- مسند أبي يعلى، المؤلف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي، (المتوفى: ٣٠٧ هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث، جدة، الطبعة: الثانية، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٥١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٥٢- مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار)، المؤلف : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، صبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٥٣- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٥٤- مسند الشهاب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ.

٥٥- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري

(المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٦- المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي، الهند، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥٧- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٥٨- المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة.

٥٩- المعجم الكبير، المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، ١٩٨٣م.

٦٠- موجبات الجنة، المؤلف: معمر بن عبد الواحد بن رجاء العبشمي السمرقندي الأصبهاني (المتوفى: ٥٦٤هـ)، المحقق: ناصر ابن أحمد بن النجار الدمياطي، الناشر: مكتبة عباد الرحمن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٦١- موطأ الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، عام النشر: ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

٦٢- نوادر الأصول في أحاديث الرسول، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن المعروف بالحكيم الترمذي (المتوفى: ٣٢٠ هـ، وقيل في حدود سنة ٢٨٥ هـ)، المحقق: إسماعيل بن إبراهيم متولي عوض، الناشر: مكتبة الإمام البخاري، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.

٦٣- الواسطة بين الحق والخلق، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد بن جميل زينو، الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى.

الفهرس

المقدمة، وبيان منهج العمل في الكتاب ٣
مقدمة المؤلف، وبيان سبب تأليف الكتاب ٦
ادعاء داود بن جرجيس على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ٧
كذب داود بن جرجيس أنَّا نكفر من قرأ البردة أو من كانت عنده ٧
بيان ذم شيخ الإسلام ابن تيمية لمن استغاث بغير الله.................. ١٠
تلبيس داود بن جرجيس في قول البوصيري: فإن من جودك الدنيا... والرد عليه ١١
الكلام على حديث خلق الدنيا من أجله ﷺ وبيان الغاية من خلق الخلق... ١١
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- على ما سبق.......... ١٣
تلبيس داود بن جرجيس في قول البوصيري: ومن علومك علم اللوح... والرد عليه ١٦
تفسير وبيان المراد باللوح المحفوظ ١٧
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- على ما سبق.......... ١٩
بيان تناقض ابن جرجيس في معنى اللوح المحفوظ ٢٣
بيان بطلان دعوى أن النبي ﷺ اطلع قبل موته على كل ما أبهم عنه ٢٦
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- على ما سبق.......... ٢٧

الرد علىٰ شبهة إشارة النبي ﷺ إلىٰ مصارع القتلىٰ يوم بدر ٢٨
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق.......... ٢٨
الرد علىٰ شبهة خلق الإنسان في حديث ابن مسعود ٢٩
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق.......... ٢٩
تحريف ابن جرجيس لحديث «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» ٣١
دعوىٰ ابن جرجيس أن النبي ﷺ وغيره يطلعون علىٰ مفاتيح الغيب الخمسة ... ٣١
تناقض ابن جرجيس وتكذيبه لنفسه في كتابة الخمس ٣٤
بيان المراد بالكتاب في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾
وغيرها من الآيات ٣٥
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق.......... ٣٥
تلبيس ابن جرجيس في حديث المنام «رأيت ربي في أحسن صورة» والرد علىٰ استدلاله الباطل.......... ٣٨
تحريف ابن جرجيس لأثر حذيفة وخلطه مع أثرٍ لأبي ذر وتمييز قول كل واحد منهما ٤٠
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق.......... ٤٢
اعتراض ابن جرجيس علىٰ الرد علىٰ البوصيري في قوله: إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي... والرد عليه ٤٣
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق.......... ٤٨

بيان اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية وحقيقة شرك العرب.............. ٤٩
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق.......... ٥٢
تمويه ابن جرجيس في معنىٰ حديث إخراج النبي لأهل التوحيد من النار.... ٥٤
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق.......... ٥٥
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ ٥٧
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق.......... ٦٠
إيراد النصوص في أن النبي ﷺ لا يملك لأحد من قرابته وأهله من الله شيئًا . ٦٤
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق.......... ٦٦
قول صاحب البردة من أبلغ ألفاظ الاستغاثة ٦٧
العامي سليم الفطرة ينكر جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ وغيره من الأموات.... ٦٧
الله خالق الأسباب والمسببات ولا يُنكر إضافة الأشياء إلىٰ أسبابها ٦٩
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق.......... ٧٠
تكذيب ابن جرجيس في دعواه أن ذوات المخلوقين تنقذ من عذاب الله مثل الأعمال الصالحة ٧٢
دحض مقولة ابن جرجيس أن التقرب إلىٰ الله بذوات المخلوقين أولىٰ من التقرب إليه بالأعمال الصالحة والرد عليه ٧٣
تقسيم باطل لابن جرجيس للشفاعة ٧٥
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق.......... ٧٨

بيان كذب وضلال ابن جرجيس في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ ﴾ ٨٢
بيان جهل وفجور ابن جرجيس بوصفه كلام الله بالبطلان ٨٤
دعواه أن شفاعة الشافعين منعت من نفوذ إرادة الله.................... ٨٤
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق........... ٨٥
دفع محاولة ابن جرجيس ضرب النصوص ببعضها........................ ٨٧
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق........... ٨٩
بيان كذب ابن جرجيس فيما نسب للصحيحين ما ليس فيهما ٩١
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق........... ٩٢
إنكار ابن جرجيس علىٰ النبي ﷺ في قوله: (لا أغني عنكم من الله شيئا) ... ٩٣
بيان بطلان تفريق ابن جرجيس بين الدعاء والنداء ٩٥
كلام نفيس لابن تيمية في اختلاف صيغ السؤال وبيان أكملها.............. ٩٩
الرد علىٰ ابن جرجيس في تجويزه سؤال الميت قياسا علىٰ الحي ١٠١
لا تجوز الاستعاذة بالمخلوق وهو أصل في الاستدلال بأن القرآن غير مخلوق ١٠٣
كلام ابن تيمية في الاستعاذة والاستجارة والاستغاثة والفرق بينهما ١٠٣
جواز الطلب من الحي الحاضر فيما يقدر عليه ١٠٥
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق......... ١٠٨

ورود الآثار بسماع الميت لا تدل علىٰ سماعه كل كلام ١١٣
بيان معنىٰ العبادة وأن الدعاء منها.................................. ١١٥
بيان معاندة ابن جرجيس وتخبطه وأن جهله جهل مركب ١١٦
قوله «أن أجهل المسلمين لا يسمي غير الله ربا وإلها ولا يقصد ذلك ...» والرد عليه ١١٧
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق........ ١٢٠
تعليق قيم لابن القيم علىٰ حديث «اجعل لنا ذات أنواط...» ١٢١
ذكر سبب نزول قوله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ ١٢١
الرد علىٰ ابن جرجيس في دعواه أن الطلب من الأموات قربة مأمور بها شرعًا ١٢٢
كلام نفيس لابن تيمية في حكم من جوَّز طلب كشف الشدائد من المخلوق ...١٢٤
تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ ﴾ ١٢٩
الاستعاذة دعاء أدخلها أهل العلم في كتاب الدعوات..................... ١٣٠
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق........ ١٣١
كلام نفيس لابن القيم في بيان أصل شرك العالم.......................... ١٣٢
قطع الله في كتابه جميع الأسباب التي يتعلق بها المشركون.............. ١٣٤

مراتب البدع عند القبور ١٣٥
كلام لابن عقيل فيمن يخالف أمر الشرع في القبور ١٣٦
جواب ابن تيمية علىٰ سؤال أن رجلين تنازعا في أنا لا نصل إلىٰ الله إلا بواسطة ١٣٧
قد يمرق المنتسب إلىٰ الإسلام في هذا الزمان كما مرقت الخوارج في زمن النبي ﷺ.......................... ١٣٨
تسمية الدعاء في القرآن دِينًا ١٤٠
المراد بالوسيلة في قوله تعالىٰ ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ ١٤١
قياس فاسد لابن جرجيس في أمر الشفاعة هو أقبح من قياس المشركين والرد عليه ١٤٣
أقسام الناس في الشفاعة ١٤٤
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق......... ١٤٦
بيان تلبيس ابن جرجيس في طلب الصحابة من النبي ﷺ لهم والرد عليه.. ١٤٨
كذبه في حكايته الاتفاق بأنه ﷺ حي في قبره وبيان تناقضه في ذلك ١٥٠
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق......... ١٥١
لم يرد حديث صحيح أنه ﷺ حي في قبره ١٥٢
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق......... ١٥٥
الرد علىٰ قول ابن جرجيس: من منع دعاء الأموات فعليه الدليل ١٥٦

لم يأت أحد من الصحابة لقبره ﷺ يطلب منه أن يدعو له ولم يستفته أحد فيما أشكل عليه ١٥٧
بعض الأحاديث الواردة في النهي عن اتخاذ قبره ﷺ عيدًا ١٦٢
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق........ ١٦٤
الرد علىٰ ابن جرجيس في استدلاله بطلب أنس من النبي ﷺ أن يشفع له . ١٦٩
كذبه علىٰ ابن تيمية وفضحه في ذلك والرد عليه ١٧١
آثار لأبي حنيفة وأبي يوسف في المنع من التوسل بالمخلوق ١٧٥
استدلال ابن جرجيس بحديث «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا ...» وبيان ضعفه........ ١٧٦
تناقضه في استدلاله من الحديث علىٰ ضعفه ١٧٧
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- علىٰ ما سبق........ ١٧٨
الرد علىٰ ابن جرجيس في دعواه أن النبي ﷺ أمر بمناداة الأموات ١٨٠
استدلاله بقصة رجل جاء إلىٰ قبر النبي ﷺ يشكو الجدب في عام الرمادة والرد عليه ١٨٢
بيان ضعف الحكاية المروية عن الإمام مالك في مناظرته لأبي جعفر المنصور... ١٨٤
نهي الأئمة عن استقبال قبره ﷺ بالدعاء ١٨٨
استدلال ابن جرجيس بقصة أعرابي جاء لقبر النبي ﷺ مستغفرًا لذنبه والرد عليه ١٩٠

احتجاجه بما روي عن ابن عمر أنه قيل له لما خدرت رجله: اذكر أحب الناس إليك وبيان أنه لا حجة له فيه ١٩١
الرد على استدلاله أن الصحابة كان شعارهم في الحرب: يا محمد.......... ١٩٦
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- على ما سبق.......... ١٩٨
الرد على قوله: إن نداء النبي ﷺ في الشدائد أمر معهود ١٩٩
الرد على استدلاله بقول صفية: ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ٢٠٠
حماية النبي ﷺ جناب التوحيد ٢٠٠
ختام الرسالة بتلخيص فصل نفيس من (إغاثة اللهفان) في المقارنة بين سنة النبي ﷺ في القبور وما أمر به وما نهى عنه وما عليه أكثر الناس اليوم ٢٠٣
آثار عن بعض الصحابة والتابعين في إنكار البدع والمحدثات ٢١٣
تعليق سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد -رحمه الله- على ما سبق.......... ٢١٤
فهرس المصادر والمراجع ٢١٥
فهرس الموضوعات ٢٢٩